الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع السكرجاسى عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢ / ٥٦٧٦٩

العدد ١٦٢ — الثلاثاء ١٧ من محرم سنة ١٣٦١ — ٣ من فبراير سنة ١٩٤٢ — السنة الرابعة

فهرس العــــــدد

على هامش الأسبوع

للدكتور أحمد زكى بك

اليابان

فى المقال السابق تحدثنا عن اليابان ، كيف توزّعت جزرها الأربع الأصيلة فى المحيط الهادى وقُبالة القارة الأسيوية ، وكيف أنشأت لها بالفتح جناحين من الجزر طوّقت بهما بحرين عظيمين حبست وراءهما روسيا والصين . وألممنا كذلك بالهبات التى أعطتها الطبيعة إياها ، فخلقت منها أمة بحرية كبرى .

واليوم نترك البحر ونهبط على أرض اليابان ، على هذه الجزر الأربع التى منها تتكوّن اليابان الأمّ ، ندور بضع دقائق على سطحها وفى جوها دورة خاطفة تعين على ما نعالج بعد ذلك من حياة اليابان .

أرض اليابان ، اليابانِ الأمّ ، أرض أكثرها الجبال وأقلها السهول . والناس إنما يعيشون على ما تنتج الأرض السهلة من زروع . وسهول اليابان ، أو ما يزرع من أرضها ، لا يزيد على ١٢ ٪ من مساحة البلاد . وهى مساحة ما كانت لتقوم بطعام سكانها ، وهم سكان متزايدون زيادة دائمة على السنين ، لولا نظام للزراعة شديد الحبك محزوم الأطراف ، أساسه استغلال كل شبر من الأرض بأكبر مقدار من السماد فى كل شهر يأذن بزراعة كائنةً

هذه ما كانت . حتى سفوح الجبال القريبة سوّوها مرساتٍ أفقيةً يعلو بعضها فوق بعض طبقات لتحبس وتحتفظ بالذي يصيبها من الأمطار . فعلى هذه الأمطار تعتمد الزراعة . وهي أمطار صيفية غزيرة جداً ، تنزل بالريّ في أفضل أوقاته ، أوقات الصيف والحرارة والحياة .

وإن يكن فات اليابانَ ثروة السهول فقد كسبت جمال الجبال . وهي جبال خضراء لا كجبال مصر . تصعدها فتجد فيها خضرة النبات من صنع الانسان إلى ٥٠٠ قدم . ثم تصعد فوق ذلك فتجد خضرة البراري تمتد إلى ٢٠٠٠ قدم . ثم تذهب صُعُداً فتدخل منطقة الغابات وبها الصنوبر والزان والبلوط . وأنت في أثناء هذا قد ترى خيالك في بحيرة تجمّع ماؤها في الأعالي ، أو تسمع خرير ماء يهبط من شلال . وقد تعددت هذه البحيرات ، وتجمّعت بما نضّدته الطبيعة حولها من مناظر رائعة زادتها بهاءً صنعةُ الانسان لهذا اتخذوا منها منازل للصيف . وهي تعلو من سطح البحر أربعة آلاف فما فوقها من الأقدام . وهذه البحيرات تشوق ملأتها الأمطار ، لهذا قد يبلغ عمقها الثلاث من الأقدام . وهي تُفرغ ماءها في مهابط سحيقة الأعماق ، يتراءى فيها الماء من بعيد كمود الفضة السبيك الجامد ، فاذا اقترب الناظر منه وجد فيه الحياة ، حركةً متيقظة دائمة لا تسكن ، ونغما مُطْرِباً واحداً لا يختلف باختلاف الليل والنهار . ولا تبلغ هذه الجبال مناطق الثلوج الدائمة أبداً ، فارتفاع أكبرها ١٢٤٠٠ قدم .

وكثير من هذه الجبال براكين ، وقد عدّوا البراكين فبلغت مائتي بركان ، أكثرها نائم ، والصاحي منها خمسون . وقد علّمت الحوادث أهلَ هذه البلاد أن لا يطمئنوا إلى بركان نام أبداً ، حتى لو سكن شخيره وانقطعت أنفاسه ومضى على انقطاعها السنون ، فهو قد يصحو فجأة من أعمق نومة ، فيتقلّب ، فتنقلب بتقلّبه القرى والديار .

وقد أحصوا ما كان في اليابان من زلازل ذات بال في القرون الثلاثة الماضية فكانت فوق المائة . والأرض تصيبها غير هذه الزلازل المتيقة هزّات هيّنة كل يوم ، تسجلها الآلات الدقيقة بالمراصد . وقد رصدت هذه الآلات في ثلاث عشرة من السنين في ختام القرن الماضي ١٧٧٥٠ هزة ! وهذا عدد مخيف يبعث الرعب في قلوب السكان ، ولكن العلماء وجدوا له تفسيراً خلقوا به من خوف الناس أمناً ، فهم يقولون إن هذه أنفاس القِدْر المكتومة تخرج نفساً نفساً فتذهب بالضغط من داخل القدر فلا يكون انفجار . فالناس مطمئنةٌ ما أحسّت أنفاس القِدر ، منزعجة عند سكون هذه الأنفاس .

وقد عزا العلماء هذا الاضطراب الدائم إلى أن اليابان لم تستقر بعدُ في محلها من سطح الكرة الأرضية ، فوركها الشرقية على المحيط الهادى دائمة الصعود ، ووركها اليسرى الغربية على بحر اليابان دائمة الهبوط ، والجسم الذى بينهما يتحرك ما تحرّكت الوَرِكان .

ومن أشد هذه الهزّات عنفاً زلزال عام ١٩٢٣ ، فقد هدم نحواً من ثلث العاصمة توكيو . وللعاصمة ميناء بالقرب منها يُدعى يوكوهاما ، تدخل إليه البواخر الكبيرة التى لا تستطيع دخول ميناء العاصمة لضحالتها . فهذا الميناء مسحه الزلزال مسحاً . وبلغ عدد المنازل التى هدمها هذا الزلزال ٥٦٠٠٠٠ منزل . قال شاعرنا المرحوم شوقى يصفه :

قف ب(طُكْيو)وطف على(يكُهامه)
وسل القريتين كيف القيامه
دنت الساعة التى أنذر النا
س وحلّت أشراطُها والعلامه

خُسفت بالمساكن الأرض خسفاً
وطوى أهلَها بساط الاقامه

طوّفتْ بالمدينتين المنايا
وأدار الردى على القوم جامه

لا ترى العين منهما أين جالت
غير منقضٍ أو رمَّةٍ أو حطامه

حازم من مهاجل الأرض غير
في مدى الظن عمقه ألف قامه

دولة الشرق وهي في ذروة العزّ
تحار العيون فيها فخامة

خانها الجيش وهو في البر درع
والأساطيل وهي في البحر لامه

لو تأملتَها عشيةَ جاشت
خِلْتَها في يد القضاء حمامه

رجَّها رجَّة أكبَّتْ على قر
نيه (بوذا) وزلزلت أقدامه

وبوذا لم ينكبْ وحده ، فقد انكب وتحطم معه من تحف الفنّ وآثار التاريخ ما لا يقدر بمال .

أما جو اليابان فقد حدَّده موقعها من البحر ، وموقعها من القارة ، وموقعها من خطوط العرض بسطح الكرة الأرضية . وأخيراً ما عليها من جبال . ويمكن تقسيمها من حيث جوها إلى نصفين : شمالي وجنوبي . أما الشمالي فبرودة شتائه تبلغ ١٠ درجات تحت الصفر ، وحرّ صيفه ١٧ درجة فوق الصفر . وبما أن الياباني لا يصمد للبرد الشديد ، فقد خف سكان الجزيرة العليا لشدة بردها . وأما النصف الجنوبي فبرودة شتائه يبلغ أقصاها ٩ درجات فوق الصفر ، وحرُّ صيفه يبلغ سبعاً وعشرين . فهو قريب من جوّ مصر الشمالي .

أما من حيث المطر فاليابان في عمومها جافة شتاءً ، بليلة صيفاً . وليس معنى هذا أنه لا ينزل شيء من السماء في الشتاء أصلا ، فانه ينزل الكثير ، لا سيما في الجبال الوسطى والساحل الغربي ، ولكنه ينزل مثلوجاً فيكسو الأرض كساءً أبيض سميكا عميقاً تلبسه ما دام الشتاء ، فاذا حلّ الربيع ساح فسال يجري هابطاً متدفقاً يملأ الجداول والأنهار .

وأنهار اليابان لا يمكن بعد الذي وصفنا من أرضها إلا أن تكون قصيرة محدودة ، إذا ملأها السيل سريعاً ، أفرغها انحدارها سريعاً ، فهي لا تلبث عند انقطاع السيول أن تضمر فينكشف مجراها عن حصو ورمال . لهذا عز النقل بالسفن في اليابان .



ويأتي الصيف من بعد ذلك فتكثر الأمطار وتغزر ، وتغمر سفوح الجبال . وقد تتجمع فتسد الطرق . وقد

تشتد وتمتد فتهدها هدا . وقد عوقت هذه السيول اليابان عن بناء السكك الحديدية زمناً طويلا ، وعوقها عن بنائها كذلك انحدار جبالها الكبير . فالسكك لابد أن تدور حول الجبال لكي تبلغ غايتها . مثال هذا أن المسافة بين العاصمة القديمة كيوتو ، والعاصمة الجديدة توكيو ، تبلغ ٢٣٠ ميلا ، ولكنها بالسكة الحديدية تبلغ ٣٣٨ ميلا . وبسبب انحدار هذه الجبال ، وبسبب غزارة الأمطار وعنف السيول ، لا تكاد تجد إلى اليوم في البلاد طرقات جيدة المواصلات تربط شتى المدن إلا نادراً .

ومن أجل هذا قلت السيارات في البلاد ، فأنت تجد أكثرها في المدن تعمل في محيطها بالأجرة تكسيات .

وعلى كثرة جبال اليابان ، وتطاول سلاسلها ، فقد انكشفت أرضها عن سهول هنا وهنالك ، عليها استقرت الأمة اليابانية ، ومنها تنتج الغذاء .

ففي اليابان نحو من ١٦ مليون فدان تغذي نحواً من ٧٠ مليون إنسان ، وهي مساحة إذا اعتبرنا موقع اليابان من شمال الأرض ، لا تكاد تكفي في تغذية هذا العدد من السكان . ويتضح هذا بمقارنتها بمصر ، وسكانها ١٦ مليوناً ، وأرضها المفلوحة ٥ ملايين . فالمليون من الأفدنة في مصر يعيش بمحصوله نحو من ٣ ملايين من الناس ، بينما هو في اليابان يعيش بمحصوله ٤ ½ ملايين من الناس . وأرض مصر تجود شتاءً وتجود صيفاً ، وأرض اليابان تحدّ من مقدورها قسوة الأجواء . فلولا أن مطر هذه البلاد ينزل صيفاً ، وينزل غزيراً ، ما كان لهذه الأمة بهذه الكثرة وجود . وقد سهل لها أمر الزراعة خصوبة أرضها ، واعتدال مناخ الجنوب . كذلك سهله أنه على كثرة أمطارها ، فهذه الأمطار لا تكاد تحجب الشمس إلا بمقدار ما ينزل المطر ، فإذا نزل وبلل البلاد حتى أغرقها أو كاد ، تحتت السماء فأرسلت الشمس أشعتها طليقة طويلة بيضاء تنشر على الحقول سر الحياة من حرارة وضياء . وقد عدوا أيام المطر والغيم فكانت ١٥٠ ، وعدوا أيام الصحو فكانت ٢١٥ .

وسيد مزروعات اليابان الأرز ، وهو يعدل نصف ماتنتج الأرض من المحصولات الأخرى أو يزيد . تجده في كل القرى وكل البقاع ، وحيثما اطمأنت له الأرض وساعد عليه الجو ، حتى على جوانب الجبال . وهو يزرع في مربعات أو مستطيلات أو مثلثات تفصلها حواجز من الطين تحددها حشائش مزروعة فيه . وهي أشكال هندسية تجلل وجه الأرض فيتراءى هكذا في بلله الدائم للناظر إليه من أفق بعيد . وهي مساحات لا تخلو من الماء أبداً إلا قرب الحصاد . فإذا حصد الأرز ، فما أسرع ما تعمل الأيدي في الحقل تجهزه للزرعة الثانية . فأكثر من ثلث أرض اليابان يقبل زرعتين وينتج حصدتين من الأرز في العام .

ومع هذا فاليابان لا يكفيها أرزها فتستورد المزيد .

وقد جاء على اليابان زمان لم تكن تعرف فيه القمح ، ولكنها أخذت في زراعته بعد ذلك ، حتى بلغ المزروع منه مليون فدان . ولكن الياباني الشعبي لا يود من أرزه بديلا . ومنه يصنع خمره ، وتعرف بـ « الساكى » . والشعب الياباني يشرب الكثير .

ومن الحبوب الأخرى تزرع اليابان الشعير ، والجويدار وهو حب كالشعير . ثم الفول ، وهو ليس كفول مصر ، ولكنه نوع آخر من البقول اسمه فول صويا ، يزرع بكثرة في شرق آسيا من قديم الزمان . ويزرع منه في اليابان أكثر من مليون فدان ، وهو يزرع لزيته ، فبالحب ٢٠ ./· من الزيت . وهذا الزيت يصنع فيأكله الناس ، أو هو يستخدم في صناعة الصابون ؛ والثفل المتخلف من العصر يصنع منه دقيق يصنع منه

التضـــحية

للأستاذ أحمد أمين بك

لعل من أهم الفروق بين أمة راقية وأمة غير راقية ، أن أفراد الأولى يشيع بينهم العمل لأنفسهم ولغيرهم ، وأن أفراد الثانية لا يعملون إلا لأنفسهم .

ماهو الجو حولنا مشبع بالأنانية إلى أقصى حد ؛ هذا موظف كل همه أن يرضى رؤساءه فى الحدود الضيقة لينال « درجة » ، ولا يهمه بعد ذلك قضيت مصالح الناس أو لم تقض . وهذا موظف آخر لم يمنح من المرتب ما يشتهى ، فهو يضن بمقدرته وكفايته على الناس ، وكل ما يعمل أن يؤدى الأعمال الآلية التى تنجيه من العقوبة ومن التبعية القانونية ، فهو يحضر فى الميعاد وينصرف فى الميعاد ، ثم لا روح فى عمله ولا شعور بواجبه . وهذا غنى لا ينظر فى تصرفاته إلا إلى شخصه مهما شقى الناس من حوله . وهذا مزارع من كبار الزارعين لا ينظر فى مشروع القطن والقمح إلا بمقدار ما يحتمل أن يدخل جيوبه من مال ، مهما جاعت الأمة وعدمت القوت . وهذا نرى ذو جاه يستعمل جاهه ونفوذه فى الهرب من ضريبة واجبة عليه ، أو يتحايل فى تخفيضها إلى أقصى حد ممكن ، فتكون النتيجة أن يدفع الضريبة كاملةً غير القادر ، ويهرب منها أو ينقص منها القادر — وهذه هى الروح الشائعة التى نراها فى البيت وفى الشارع وفى المصلحة ، وفى البيع والشراء ، والأخذ والعطاء : أنانية مسرفة ، فى حدود ضيقة ، لا ينظر معها الانسان إلا إلى نفسه ، وإلى نفسه فقط ، يدور فى خلده أن ينهب من اللذائذ ما استطاع قبل فوات الوقت ، ويهرب من الواجبات ما استطاع مع المحافظة على الشكل ، حتى لا يقع فى يد القانون ، يردد قول أبى فراس : « إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطر » ، ويقرأ بيت أبى العلاء :

خبز يأكله المرضى بالبول السكرى . واليابانيين فى هذا القول على اختلاف محصوله مآرب كثيرة ومنافع عدة للناس والحيوان . فمن ذلك أنهم ينقعونه ثم يطحنونه بالماء ، ثم هم يصفونه ، فيخرج صافيه كاللبن مظهراً ، وهو كاللبن كذلك تركيباً ، ففيه الدهن الكثير والزلال الكثير . ومنه غذاء الأطفال فى هذا الشرق البعيد .

ومن مزروع اليابان الشاى ، وهى تهيئه أخضر للشراب ، وأكثره يذهب إلى الولايات المتحدة . وقد كانت تصدِّر لها من قريب بين ثمانين ومائة مليون رطل فى العام .

ومن مزروعها شجر التوت ، يزرعه ثلاثة أرباع مديرياتها . فتجده فيها أينما ذهبت ، صفوفاً صفوفاً ، قام عليها الشجر متباعداً ، وفيما بينها يزرع اليابانىُّ فى الأرض مايشاء . واليابان تزرع التوت لورقه ، فعليه يُربَّى دود القز فى كل البلاد . والذى يربيه هو نفس الفلاح الذى يحرث الأرض ويبذر البذر ويجمع الحصاد . وفى البلاد آلاف المنازل ، يديرها الناس فى بيوتهم . وقد قارب عددها مائتى ألف بيت ، فمائتى ألف أسرة . واليابان تنتج من الحرير إذا استثنينا الصين ثلاثة أرباع ما ينتجه العالم .

ولصغر المساحات المزروعة بالنسبة للسكان ، ولشدة طلب الحَبّ لإعاشة الانسان ، ضاقت أرض اليابان من أن تسع الكافى من الحيوان . فهى تشكو قلته ، وقلة ما يترتب على وجوده من سائر الحاجات . فهى تشكو انعدام الصوف ، وقلة اللبن والزبد والجبن ، وكذلك الجلود . فهذا ما تستظهره أرض اليابان من زروع ، أما الذى تستبطنه من معادن . . .

أحمد زكى

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

ويقول البارودي :

أدعو إلى الدار بالسقيا وبي ظمأ
أحق بالري لكني أخو كرم

• • •

ليس مظهر التضحية مقصوراً على الجنود في مواقف القتال ، فليس هذا إلا مثلا عالياً من أمثلة التضحية ، ولكن هناك أمثلتها العديدة في الحياة اليومية لكل فرد ؛ فالذي يتنازل من لذته الفردية الضيقة للمصلحة العامة الواسعة يكون مضحياً على قدر ما بذل ؛ فالموظف ينال شيئاً من العناء لراحة الجمهور مضح ، والمدرس يبذل أقصى جهده في إعداد درسه وإيصاله إلى طلبته مضح ، والغني يتنازل من بعض لذائذه لخير الناس مضح ، والزارع يرعى حال فلاحيه مضح ، وهكذا ، وعلى قدر انتشار هذه الروح في الأمة يكون مقدار رقيها ونجاحها — ولا تفلح أمة يبحث أفرادها عن لذائذهم الشخصية فقط ، مهما حسن تشريعها وصلح قادتها ؛ فشرّع ما شئت لتنظيم التموين فلن ينجح ما دام كل فرد لا ينظر إلا إلى شخصه ، وشرع ما شئت من تنظيم الضرائب فلن ينجح مع محاولة الأفراد الهرب منها ، وشرع ما شئت لإصلاح الفلاحين فسيظلون كما هم ، ما دام التشريع لا يلقى مجاوبة من نفوس القادرين .

• • •

لقد أضاع علماء النفس المحدثون جمال التضحية بما أفرطوا من تحليل ، وما أرجعوا من أعمال نبيلة إلى غرائز وضيعة ، وما وصلوا إليه من أن مظاهر إنكار الذات تعود في آخر أمرها إلى حب الذات ؛ فقالوا — مثلا — إن السياسي الكبير الذي يدل مظهره على أنه يؤدي واجبه ، ويخدم أمته ، ويتحمل أشق الأعباء في سبيل مجدها ورقيها ونهوضها ، لو حللت البواعث التي دفعته إلى عمله وسلوكه هذه السبيل ، لوجدتها ترجع في النهاية إلى غريزة حب الذات ، وشعوره الكمين بأهمية ذاته ، وعظم شخصه . والواعظ الذي يعظ الناس ويذكرهم بالدين ، ويخلص في سبيله ، ويتحمل أشد العذاب في سبيل تحقيق دعوته وانتشار عقيدته ، إنما تصل في النهاية عند تحليل نفسه إلى حبه إظهار شخصه ، وتمجيد ذاته ، والتفات الناس إليه ، واتجاههم نحوه . والزاهد الذي فر من الحياة ولذائذها ، واعتكف في الأديار أو التكايا أو نحوها ، وتجرد من الدنيا وشؤونها ، لم يكن في الحقيقة عند التأمل العميق في بواعثه إلا ناظراً لنفسه ، هارباً من تبعات الحياة وتكاليفها . والطبيب الذي يعنى بمرضاه ولا يعنى بنفسه ، ويتعرض للأخطار أيام الوباء إنقاذاً للناس ، ولو كان في ذلك حتفه — قالوا — إنما يبحث وراء حسن سمعته وذيوع شهرته . والعالم الذي يقضي أوقاته في معمله أو في مكتبه باحثاً منقباً وراء حقيقة يكتشفها ، أو نظرية يعثر عليها ، أو اكتشاف يخدم به الانسانية دواء لمرض ، أو إمتاعاً للناس في ناحية من نواحي حياتهم ، ليس — في نظرهم — إلا مجيباً لما ركب في طبيعته من حب الاستطلاع . والمصلح الذي يكدح ليله ونهاره في سبيل خدمة قومه وإصلاح عيوبهم ، ومعالجة ما أصيبوا به من مرض اجتماعي ، ليس يرجع ذلك — في رأيهم — إلا إلى حب الظهور ، وإشباع رغبته في إعظام نفسه ، والدوي حول شخصه . بل قالوا أكثر من ذلك وأعنف ؛ فقالوا : إن الممرضة التي تهب نفسها لخدمة المرضى ، وتعمل جهدها في الرعاية بهم ، وتلطيف عذابهم ، وتضميد جراحهم ، وتجد من نفسها السعادة في تفريج كربهم وتخفيف آلامهم ، ليست في الحقيقة مدفوعة إلى ذلك إلا لداعي ما ركب في غريزتها من الاستطلاع الجنسي . قالوا : وإنما اختارت هذا

الضرب من الاحسان لأنه محفوف بما يغذي نفسها من مظاهر الاعجاب والمدح والثناء ، والظهور بمظهر من يفني ذاته في نفع الناس ، ويضحي بخيره لخير الناس .

وهكذا رجعوا كل البواعث النبيلة ، ومظاهر التضحية الجلية للغرائز الوضيعة المتأصلة في النفس ، وللبواعث الذاتية المتمكنة في الانسان منذ ظهوره على وجه الأرض .

وقالوا : وما ذنبنا أن وجدنا الانسان هكذا خلق ، وعلى هذا طبع ، وهو هو من بدايته إلى نهايته ؟

ولكن أحقٌ كل هذا ؟ أيستطيعون أن يستمروا في تفسيرهم لكل أنواع التضحية من شخص لا يؤمن بدين ، وهو — مع هذا — يرى نفسه في ميدان القتال دفاعاً عن أمته ، وأم تضحي براحتها ولذتها لابنها من غير أن تنتظر مثوبة أو جزاءً ، ونحو ذلك من أمثلة لا تعد ؟

وهب ذلك كله صحيحاً ، فهل ذهب جلال التضحية وقيمة التضحية ؟

لتكن كل هذه الأعمال النبيلة المشتقة عن غرائز شخصية وبواعث ذاتية ؛ فهذه الغرائز في الحقيقة والواقع قد تتجه إلى أعمال خسيسة فنكرهها ونشمئز منها ، وهي هي قد تتجه إلى أعمال تنفع الناس فنعجب بها ونمجدها . إن حب الذات قد يدفع الشخص إلى أن يقتل استيلاءً على مال القتيل ، وقد يدفعه إلى أن يقتل دفاعاً عن أمته أو دفاعاً عن عرض فتاة ؛ وحب الظهور قد يغذي غريزته بتضليل الناس ، وخلق المؤامرات ، وتدبير الدسائس حتى يعترف له بالقدرة ؛ وقد يغذي غريزته بالاحسان الكثير والاصلاح الكبير . والمرأة قد تدفعها غريزتها الجنسية إلى الاستهتار ، وقد تدفعها الغريزة نفسها إلى التمريض ؛ فالغريزة في كل هذه الحالات واحدة ، ثم قد يصدر عنها الخير ، وقد يصدر عنها الشر ، فالعبرة بالنتائج لا بالتحليل إلى العناصر الأولية . وخطأ علماء النفس هؤلاء — إن كان ما يقولونه صحيحاً — أنهم أفرطوا في التحليل ، ولم ينظروا في التركيب ، بالغوا في المقدمات وأعرضوا عن النتائج .

لتكن كل الأعمال ناتجة عن حب الذات ، فلا تزال هناك أعمال نبيلة وأعمال خسيسة ، ولا تزال هناك من الأعمال ما يصح أن يسمى « أثرة » وأنانية وما يصح أن يسمى إيثاراً وتضحية ، وكل الفرق فرق في التعريف لا في المعرَّف ، وفي العرض لا في الجوهر ؛ فعلى قولهم تكون التضحية أن يجد المرء لذته الشخصية فيما يعود على الناس بالنفع ، وعلى قول الآخرين هي أن يبعثه على عمله نفع الناس وخيرهم ، ولا عبرة بالمقدمات إذا تساوت النتائج ، وليس يهمنا أن يكون الباعث له على إتيان الخير لذته الشخصية أو رغبته في الصالح العام مادام العمل ينتج هذا الخير .

ولا يزال الناس بعد هذا البحث السيكولوجي منقسمين إلى قسمين : قسم لاينظر إلا إلى شخصه في حدوده الضيقة ، وقسم ينظر إلى شخصه في حدوده الواسعة . قسم ينظر إلى ذاته كما ينظر الحيوان ، وقسم ينظر إلى ذاته كفرد في أمة وعضو في جسم وفرع في شجرة ، يوفق بين نفعه ونفع أمته ونفعه ونفع شجرته . قسم بلغ به ضيق النظر أن يجد لذته في حرمان الناس وسعادته في شقاء الناس ، أو هو على الأقل لايهتم بالناس ، وقسم بلغ من سعة نظره أن يجد لذته في لذة الناس ، وسعادته في سعادتهم ، وخيره في خيرهم ، وهذا غاية الرقي . وخير الناس من استطاع أن يوفق بين غرائزه وخير الناس ؛ فإذا كان محباً للظهور فليظهر بما ينفع أمته ، وإذا كان محباً للاستطلاع فلا يستطلع أخبار الناس وعيوبهم وخفاياهم ، وإنما يستطلع حقيقة مجهولة في العلم أو قانوناً مجهولاً في الطبيعة ؛ ومن كان في طبعه الخوف فليخف من شر يلحق الناس ، وأذى ينالهم ، ولا يخفْ من أوهام من خلقه ، وعفاريت من خياله . وهكذا

مهما قيل فالتضحية أنبل ما وصل إليه الانسان، منظرها أجمل منظر وأروعه، ولا شيء يكسب الأمة قوة كما تكسبها التضحية؛ فالأمة المضحية تأكل غير المضحية في سهولة ويسر، لأن الأمة المضحية كتلة متماسكة ووحدة واحدة، والأمة غير المضحية أفراد متفككة، وشهوات متعددة تتحارب أجزاؤها، ويأكل النزاع والشهوات والأنانية قواها. فالأسرة التي يعمل فيها كل فرد لشخصه أسرة ميتة، والمصنع الذي يعمل فيه كل فرد لمصلحته الخاصة لا يبقى شهراً، والحزب الذي ينظر فيه كل عضو إلى نفسه فقط حزب مصطنع لا حول له ولا قوة، والأمة التي يحسب فيها كل فرد حساب لذته الخاصة هي أفراد لا أمة.

في الأمة التي تسودها التضحية كل أفرادها أقرباء، وفي الأمة التي تسودها الأنانية كل أفرادها غرباء.

التضحية عشق وهيام، ومحال أن يصدق عشق على أساس الأنانية، إنما يصدق يوم يقول ويؤمن بما يقول: «إني أمحي أنانيتي وسعادتي وشخصي وكل ما يقف في سبيل الحب لحبي».

لا تكون التضحية حتى يشعر القلب لذة العطاء كما يشعر لذة الأخذ، ولذة أن الناس يَحمَدُون ويسعدون كما يشعر أن يتلذذ من أن يحمد ويسعد.

التضحية إرادة القوى ليقوى، وإرادة الضعيف ليتخلى من ضعفه – هي حجر السن تُشحذ عليه الارادة لتقطع الصعاب وتجتاز العقاب، وهي النار المقدسة التي تطهر النفوس وتأكل الأعشاب الطفيلية.

التضحية أشرف الطرق تسير فيه الأمة لتحقيق ذاتيتها، وأنبل السبل تسير فيه الانسانية لتبلغ غايتها، وبدونها يصبح الانسان حجراً لا روح فيه، أو بهيماً يعيش ليأكل.

التضحية أفق واسع تنعم فيه النفس بجمال السعة وبعد المدى وجلال اللانهاية، والأنانية أفق ضيق تألم فيه النفس بضيق المكان، وتنقبض فيه من كثرة السدود والحدود.

في التضحية حرارة تفيض، وإيمان يثمر، وفي الأنانية جمود بارد وإلحاد مقبض.

في التضحية حياة كلية شاملة وفناء النفس فيما حولها ومن حولها، وفي الأنانية حياة جزئية محصورة ودوران النفس حول ذاتها في جمود وركود.

في التضحية كرم وسماحة، وفي الأنانية شح وكزازة، «ومن يُوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون».

أحمد أمين

من معانى الوطنية :

نابليون أسطورة أدبية

« كان الأطفال يخرجون من مدارسهم ، فلا يرون سيوفاً ولا دروعاً ، ولا مشاة ولا فرساناً ، فيتساءلون : أين إذاً آباؤنا ؟ ويكون الجواب : إن الحرب قد انتهت ، وإن قيصر (نابليون) قد مات ، وإن صور وانجتون وبلوخر قد أصبحت زينة غرف استقبال السفارات ودور القناصل ، وقد كتب من تحتها : إلى منقذى العالم .

هكذا جلست على أطلال عالم متدثر شبيبة مهمومة ، شبيبة نبتت من قطرات الدماء الحارة التى غمرت الأرض ، ولدوا فى جوف الحرب للحرب ، وقد رنحت أحلامهم خمسة عشر عاما ثلوج موسكو وشمس الأهرام ، لم يخرجوا من قراهم ، ولكن كم حدثوا أن كل باب من أبواب تلك القرى يقود إلى عاصمة من عواصم أوربا ، فقد عاثر بعقولهم عالم بأكمله ، ثم هاهم ينظرون إلى الأرض والسماء والمسالك والطرق ، فإذا الكل صامت خال ، لا يسمع فيه غير دق النواقيس تتردد أصداؤه فى الآفاق البعيدة .

لقد كانت نفس الشبيبة عندئذ تتنازعها قوى ثلاث : من خلفهم ماض قد تحطم إلى غير رجعة ، وإن كان لا يزال ينتفض تحت ما خلف من أنقاض يرقد بين حناياها من تحجر من شيمة عهد الاستبداد المنصرم . ومن أمامهم فجر أفق شاسع قد أخذ يرسل أول أشعة المستقبل ، وبين هذين العالمين محيط كذلك الذى يفصل قارتنا القديمة عن العالم الجديد ، ضباب يكتنفه محو المعالم ، بحر عاصف يغص بالغرق ، وإن لاح بآفاقه البعيدة من حين إلى حين شراع أبيض أو سفين ينفث البخار كثيفاً ؛ ذلك هو عهدنا الذى يفصل الماضى عن المستقبل ، فلا هو هذا ولا هو ذاك ، وإن أشبه كليهما . وما نخطو به قدم إلا تساءلنا : أبذرة ما نطأ أم طلل ؟

وسط هذا السديم كان على أولئك الشباب ، أبناء الامبراطورية وحفدة الثورة الذين يتنضون قوة وإقداماً أن يتخيروا ما يريدون أن يشقوا من سبيل » .

فى هذه القطعة التى ننقلها عن « اعترافات فتى العصر » لألفريد دى موسيه فهم دقيق للحالة النفسية التى خلفها ما اصطلح على فرنسا من أحداث جسام فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وعن تلك النفسية صدر الأدب الرومانتيكى .

وذلك أن الرومانتزم ليست فى الحق مذهباً أدبياً دعا إليه الكتاب أو اصطنعوه اصطناعا وهى على النقيض خروج على كل مذهب وتحطيم لكل قيد ؛ وإنما هى حالة نفسية ولدتها الثورة وما تلاها من مجد نابليون ، ثم من نهيار ذلك المجد فى غير أصبحت مذهباً عند المقلدين الذين طوعوا الناس ما أجهدوا أنفسهم فيه من سخف مصنوع ، على نحو ما هو طاو ما لا يزال المتأدبون منا يأخذون به أنفسهم من التحدث فى شعرهم عن جبال تهاو أو تلاع تشرق عليها شمس مصر بواديها المنبسط .

شبت الثورة فقلبت أوضاع الحياة : أعزت رجالا وأذلت رجالا ، بل كم من سرة أكلت بنيها ؛ وجاء نابليون فلأ الوجود مجده حتى أصبح الشباب لا يحلمون بغير المعارك وقيادة الجيوش يكتسحون بها العالم ، فيتحدث الناس ببطولتهم كما يتحدثون عن أمبراطورهم العظيم ؛ ثم كانت واترلو التى تحطم فيها مجد ذلك البطل ، وإذا بجزرة سانت هيلانة رمز لما يجئ القضاء للرجال من محن .

وتساءلت الشبيبة : ترى أذلك ما ينتظرنا من مصير ؟ أما من سبيل إلى تحقيق أحلامنا ؟ ثم أبصرت ما بين الواقع وتلك الأحلام من هوة لم يعد سبيل إلى عبورها ،

فانطوت على أنفسها ، وعن العمل فاتخذت حياتها موضوعا للنظر ، وشغل الأدب نشاطها المتعطل فاذا به أدب شخصي.

وهال الشبيبة ما أحست من عجز وحزن ، فقال قائل منهم : « المرء طفل يهذبه الألم » ، « لا شيء يسمو بنا قدر ما تسمو الآلام » . وقال آخر : « إني أحب جلال الألم البشرى » ، ولقد يعود قائلهم إلى نفسه ، فاذا بهما قد ضاقت بحزنها ، وإذا بها تود أن تلتمس العزاء فيما تصيب من مسرات عارضة تقدرها قدرها لأنها عرفت الأحزان .

واستمع بعضهم إلى نداء الطبيعة تدعوهم إلى صدرها الرحيم ؛ فمنهم من خف إليها يلتمس في جمال زينتها سلوى عن آلامه ، ومنهم من أخذته العزة بالإثم فقال : « لا ، ما بي حاجة إليك ، وما أنت لنا أم ، بل زوجة أب كم أفنيت من أجيالنا عرون وأنت باقية خالدة تحدينا عا نحن صائرون إليه من فناء » ثم انصرف إلى أطلال الماضي يخصها بحبه ، ولم لا ؟ وما هي إلا صورة لنفسه .

تلك هي الرومانتزم : خروج على تقاليد الأدب الكلاسيكي ، بل وعلى كل أدب ، في زمن بلغت فيه الحاجة إلى العبارة عن النفس مبلغا لم يدع مجالا للتفكير في أصول الأدب — نظر في المصائر الخاصة ، وقد التوت السبل ، واستحال العمل ، فانطوى كل على نفسه . حزن عميق يصرف الشعراء إلى مناظر الطبيعة ، بل إلى أنقاض الماضي ، يفكرون خلالها وتفكر خلالهم ، ثم إحساس دقيق بما بين الواقع والخيال ، بما بين الفرد والجماعة ، بما بين الحرية والقيود ، بما بين الماضي والحاضر من صراع هو مصدر البلوى .

وأما ما دون ذلك من بحث عن طرق الأداء في آداب القرون الوسطى القومية النشأة ، أو من استلهام لآداب الألمان أو الانجليز التي بصرهم بها مدام دي ستايل وشاتو بريان وأمثالها بدلا من الرجوع إلى الآداب اللاتينية اليونانية ، فأعراض لا تمس روح الأدب الرومنتيكي في شيء يذكر .

وعلى هذا النحو نفس الدور الذي لعبته شخصية نابليون في نشأة هذا الأدب الذي لمسنا قريباً . أليس هو مصدر تلك الأحلام التي رنحت الشباب حيناً من الزمن ، ثم جاء الواقع القاسي فحطم تلك الأحلام ، وإذا بالأدب ينحو هذا النحو الحزين الثائر الذي يتميز به ما بين أيدينا اليوم من آثار ذلك العهد الأدبي الرائع .

جاهدت فرنسا في ثورتها ، وحسبت أن العناية الالهية قد ساقتها لتحمل الحرية إلى شعوب الأرض قاطبة على يد نابليون ، ثم هاهو نابليون يُلقى أسيراً محطما بجزيرة موحشة ، بل ها هي فرنسا ذاتها في قبضة أعدائها يملون عليها إرادتهم ، وقد أزرت بها الحروب الطويلة البؤس والدمار ، فلا غرابة إذاً في أن تكتسح الرومانتزم الأدب الكلاسيكي — أدب الحقائق العامة — أدب التقاليد الأدبية والأرواح المطمئنة ؟

وبعد لقد تحدث الناس عن نابليون كقائد عظيم ، فمنهم من نقم عليه تحطيم فرنسا وإفناء أبنائها في سبيل مجده الخاص الذي لم يلبث أن انهار ، تاركا حسرة مرة بنفسه ، وخرابا مخيفاً ببلاده ؛ ومنهم من التمس له عذراً فيما كان يدعي من رغبة في تحرير الشعوب التي غزاها ، وحمل لبادئ الثورة العريقة إليها ؛ وتحدثوا عنه كمصلح خلف في فرنسا آثاراً مدنية ما تزال إلى اليوم موضع فخارها — القانون المدني المعروف باسمه ، والمكتبة الأهلية التي تضم اليوم ملايين المجلدات ، ثم المعهد الفرنسي ، وبنك فرنسا .

وأما عن نابليون كمثل احتذاء الشبان ، فكان له في نفوسهم أكبر الأثر ، وأما عن نابليون كمصدر من مصادر حركة أدبية خصبة ، وأما عن نابليون كأسطورة قومية ، فذلك ما قل أن يتحدث عنه المحدثون .

وفى الحق أن الرجل العظيم لا يصح أن تقاس عظمته بما استطاع تحقيقه ، أو بما خلفه من آثار ؛ فتلك أشياء قليلة الأثر مهما عظمت إلى جانب قوة إيحائه قوة قد تبلغ فى توجيه النفوس ما لا يبلغه أكبر الأحداث ؛ وذلك لما هو واضح من أن الاشعاع الشخصى أنفذ إلى القلوب ، وبخاصة قلوب الشباب ، من أى معنى من المعانى أو أمر من أمور الحياة العامة .

ولكم من شاب يحدثك عن أمله فى أن يكون هذا الرجل أو ذاك قبل أن يكون صاحب هذه الحرفة أو تلك ؟

ذلك تأثير الأبطال فى نفوس الشباب الطامح تأثيراً فيه الخير وفيه الشر : الخير إن تحققت الآمال ، وهذا ما يتاح للقليل ، والشر إن تنكرت لهم حقائق الحياة المرة ، وذلك لسوء الطالع مصير الكثيرين ممن لا يهتدون إلى الايمان بأن الجهاد فى سبيل المثل الأعلى لا يقل نبلا عن تحقيقه .

ولكن الزمن مالبث أن يسير ، فيتناقل حديث هؤلاء الأبطال فى طبقات الشعب ، وإذا به يصبح أسطورة قومية يقصها الشيوخ للأطفال ، والجدات والأمهات للأبناء ، وقد نسى الخيال الشعبى ما كان لهؤلاء الأبطال من أثر سيء ، أو ما انتهت إليه حياتهم من بؤس ، بل إن الاعجاب ليأخذ السبيل على كل تفكير ، فاذا بالبطل منهم قد خرج من طبائع البشر ، وإذا ببطولته معجزة من معجزات الحياة .

إلى هذا صار نابليون بعد موته سنة ١٨٢١ بجزيرة سانت هيلانة ، فقد رفض الشعب أن يصدق نبأ تلك الوفاة قائلا : إنه لم يمت وإنما أفلت من أسره كما أفلت من قبل من جزيرة ألبا ، وإنه لابد عائد فناج بنا من قبضة المستبدين . وتراخى بهم الأمل حتى كان اليأس ، ولكن ذكراه لم تمت فى قلوبهم ، وكأنه رسول منتظر ، سيأتى يوما ما لخلاصهم ، إلى أن سقطت الملكية الاستبدادية سنة ١٨٣٠ ، فزادت ذكراه مجدا ، وبلغ من تعلق الشعب به أن لم ير لويس فيليب وحكومته خيراً فى تملق هذا الشعب الوفى من أن يحملوا رفاته من سنت هيلانة إلى باريس ، حيث دفنوه فى متحف الجيش بساحة الأنفليد سنة ١٨٤٠ فى قبر ضخم من خالص الرخام .

وتحدث الشعراء بمجده من أمثال هينى الألمانى وهيجو الفرنسى ، ولكنه شعر خواص لا يعنينا اليوم فى صدد الحديث عن أسطورة هذا البطل الأدبية ؛ وخير منه أغانى الشاعر الشعبى الجليل جان بيردى برانجيه (١٧٨٠ — ١٨٥٧) Jean Pierre de Béranger الذى ابتدأ حياته بأغان مرحة فقدت شوارع باريس وملاهيها زمنا طويلا بنغماتها البهيجة إلى أن جد الجد ، فتسقطت قيثارته آمال الشعب وآلامه ، ترددها باسمة يوما ، حزينة فى أغلب الأيام ، حتى لم يعد لأبناء الشعب أغان غير أغانيه ورددوها كما رددون نجوى قلوبهم ، وهال رجال الحكم أمره وخشوا بأسه ، فزجوه فى السجن مرتين عامى ١٨٢١ و ١٨٢٤ ثلاثة شهور ، ثم تسعة ، كما غرموه فى المرة الأولى ٥٠٠ فرنك ، وفى الثانية عشرة آلاف ؛ ولكن الشعب لم يزد به إلا تعلقا ، حتى ليجمع المؤرخون على أن باريس كلها قد شيعته إلى قبره فى حفل رائع سنة ١٨٥٧

وكان سر نجاح هذا الشاعر صدوره عن وحى الشعب المباشر فى أغان بسيطة ساذجة ولغة مألوفة قريبة إلى قلوب العامة قرب ماعوج به من معنى أو إحساس ، بحيث إنه ما كان ينظم المقطوعة إلا وقد انتشرت على كل الألسنة وجابت فرنسا طولا وعرضاً .

ثم إن لهؤلاء الشعراء الشعبيين الصادق الحس سراً رائعاً ، هو قدرتهم على أن يوضحوا للشعب ما يجول بخاطره من آمال وآلام لا يستبينها بوضوح ، بحيث ما يسمع

العامة حديثهم إلا وكأنهم وقد عثروا على مفقود فى نواحى نفوسهم ، أو أضاءوا مظلما منها ، فيطمئنون إلى ذلك الحديث ، وإذا بالشاعر لا يقف عن التسقط ، بل يعدوه إلى التوجيه . »

وعلى هذا النحو سام بيرنجيه فى خلق أسطورة نابليون بما لم يصل إليه هيجو أو هينى أو غيرهما ممن لم يصدروا عن وحى الشعب أو يحاولوا توجيه خطاه .

وها هى إحدى أغانيه ، سماها « ذكريات الشعب » ، وكتبها بلغة ساذجة قريبة إلى لغة العامة ، يقص فيها أحدوثة كالتى تقصها جداتنا عن « الشاطر حسن » أو عن « أبو زيد الهلالى » أنقلها محتفظا ما استطعت ببساطتها :

« عجدهم سيتحدثون فى الكوخ . بعد نصف قرن لن يسمع السقف المتواضع قصة أخرى . . . هناك ستأتى الريفيات يسألن إحدى العجائز : سلى عشيتنا ، حدثينا عما كان فى غابر الزمان . يقولون « فى الجبر » . . . الشعب ما زال يحبه ، نعم يحبه . حدثينا عنه يا جدة ، حدثينا عنه .

— بهذه القرية مر يا أولادى ، ومن خلفه الملوك ، كان هذا من زمان بعيد ! بعد زواجى مباشرة ، صعدت فوق التل ، وجلست لأرى . كان يلبس قبعة صغيرة ومعطفاً رمادياً . وقال لى : « صباح الخير أيتها الصديقة ، صباح الخير » .

— آه ، أحدثك حقاً يا جدة ؟ ! أحدثك ؟ !

— فى السنة التالية كنت بباريس ، فرأيته فى أحد الأيام مع حاشيته وهو ذاهب إلى نوتردام . كانت كل القلوب فى فرح وإعجاب بموكبه والكل يقول : « ما أجمل الجو ! إن السماء ترعاه ! » ما أحلى ابتسامته ، وقد رزقه الله ولداً .

— ما كان أجمل يومك هذا يا جدة ! ما كان أجمله !

— ولكن عند ما وقعت شمبانيا المسكينة فى يد الأجانب ، تحدى وحده كل الأخطار كأنه يحارب بمفرده . وفى ليلة مثل هذه الليلة ، سمعت دقاً على الباب ، ففتحت . يا إلهى ! كان هو ، يتبعه قليل من الجند ، وجلس فى مكانى هذا وهو يصيح : « يا لها من حرب ! يا لها من حرب » .

— أحقاً جلس هنا يا جدة ! أحقاً جلس هنا !

— وقال : « أنا جائع » ، فأعطيته بسرعة خبزا وقطعة لحم ، ثم جفف ملابسه على النار وأحس بالدفء فنام ، ثم صحا فرأى دموعى فقال : « لا تيأسى ، سأعود إلى باريس حيث أنتقم لفرنسا من محنها » ؛ ثم سار وإلى اليوم وأنا أحتفظ بكوبه ككنز ، نعم أحتفظ به .

— أما زال الكوب عندك يا جدة ؟ أما زال عندك ؟ !

— ها هو ، ولكن البطل قد سار إلى قبره . . . البطل الذى توجه البابا يموت فى جزيرة مهجورة ؟ زمن طويل لم يصدق أحد هذا الخبر ، وقال الكل : سيعود ثانية . قد نزل إلى البحر ، سيرى الأعداء سيدهم من جديد ، ثم ضاع الأمل فكانت حسرتى مرة ، نعم ما أمرها !

— ألا بارك الله فيك يا جدة ! ألا بارك الله فيك !

تلك أسطورة نابليون . ما قرأتها إلا انتفض قلبى متجهاً بالدعاء إلى الله أن يهب هذا الوطن المسكين — وطننا العزيز — من بين شبابنا بطلا كهذا تتحدث بمجده الجدات ، ونحن بعد فى زمن وفى وطن لن ينقذه إلا بطل صادق العزم ، وقد تفاقم خطبنا ، بحيث لم يعد للكلام مجال ، وإنما نحن فى مجال العمل — فهيا أيها الشباب ، فقد دقت الساعة ، ولتتركوا الحديث إلى الأجيال اللاحقة تتحدث ببطولتكم ، بل اتركوه لأفواه الزمن .

محمد مندور

أوضاع المسرح

وأثرها فى مسرحيات شيكسبير

إذا درسنا حياة شيكسبير العملية وجب علينا أن نبحث الفرق بين الأوضاع المسرحية المختلفة التى دارت على طول عصور التاريخ ، حتى نرى أى نوع منها كان المسرح فى عهد إليزابث . فالكاتب المسرحى مهما أوتى من الحرية لا مناص له من أن يلتزم بعض القواعد الشائعة فى عصره حتى تستسيغ الجماهير مسرحياته . ويذهب بعض النقاد إلى أنه لا قيمة للمسرحية فى نفسها إلا إذا مثلت على المسرح . وهم يشبهون الرواية بالسفينة لا غناء فيها إلا إذا أنزلت إلى اليم . وسواء أكان هذا حقاً أم باطلا فشيكسبير ومعاصروه كانوا يكتبون للجماهير وكان شيكسبير نفسه ممثلاً قبل أن يكون مؤلفاً وكانت رواياته ناجحة . وكل ذلك جدير بأن يدفعنا إلى البحث فى طبيعة المسرح الانجليزى فى ذلك العهد حتى نرى إلى أى حد أثرت أوضاع المسرح فى روايات شيكسبير . . .

يؤيد ضرورة هذا البحث عندنا أن مثل هذه المسرحيات كانت تؤلف لتمثل . وقد ضاعت الكثرة الغامرة من مسرحيات الصدر الأول من عصر إليزابث ، لأن أحداً لم يُعنَ بجمعها فى كتاب مطبوع . وإنما عُنى بعض الناشرين بطبعها فى نهاية هذا العصر . وكان الناشرون يختلسون تلك المسرحيات اختلاساً بحيث وقع فيها كثير من الخلط والتحريف والانتحال ، مما أدى إلى كثير من البحث والتحقيق فيما بعد ذلك . فالمسرحيات التى ألفها شعراء هذا العهد لم تكن قد أُلفت لتقرأ ، وإنما قد ألفت ليراها الناس ممثلة . وقيمتها الأدبية عند معاصريهم كانت رهينة بملاءمتها للمسرح .

* * *

وقد تقلبت أوضاع المسرح منذ عهد الاغريق حتى اليوم ، وتغيرت تبعاً لذلك الرواية المسرحية . أما فى الزمن الأول من عهد الاغريق فقد كان المسرح دائرة فى الخلاء يحيط بها مدرّج يتسع لستة آلاف أو سبعة آلاف شخص . وفى مثل هذا المسرح الهائل كان على الممثل أن يلبس حذاءين عاليين من الخشب حين يمثل المأساة ، وكان عليه أن يبالغ فى التعبير عن مختلف العواطف ، بحيث يكثر من الحركة والاشارة ويرفع من صوته . وكان على المؤلف أن يعد مسرحيته فى الزمان والمكان حتى لا يظهر التناقض فى مثل هذا المتسع الهائل . وكان للموسيقى شأن كبير فى تسيير القصة ، بل لقد كان يقوم إلى جانب الممثلين الغرباء (الجوقة) يعلق على القصة فى فترات منها . فظروف المسرح الاغريقى هى التى وجهت التأليف المسرحى عند الاغريق ، بل هى التى بعثت فى النقد بعد ذلك ما أتى به أرسطو من التزام الوحدة فى الزمان والمكان والعمل عند المؤلف المسرحى . وليس يستطيع دارس الروايات الاغريقية أن يتفهمها حتى يتفهم تلك الظروف .

إلى جانب هذه الصورة من المسرح الاغريقى نرى صورة أخرى من مسرح العصر الحديث ، فقد نشأت إلى جانب وظائف المؤلف والممثل وظيفة أخرى هى وظيفة المخرج . والمخرج فى العصر الحديث واسطة التعبير عن المسرحية بأكملها . وقد أصبحت مناظر الرواية المسرحية جزءاً لا يتجزأ منها . وبرنارد شو أحد المسرحيين المحدثين الذين يبذلون الجهد فى شرح دقائق المناظر التى يريد أن تحوط أشخاص روايته . ولدقة المنظر وجماله ، بل وللأضواء التى تأتلف وتختلف على وجوه الممثلين ، وللستائر التى ترتفع وتهبط ، أثر كبير فى نجاح الرواية .

وأصبح للمناظر سلطان كبير في توجيه التأليف المسرحي، ونقص عددها لأن كل منظر منها يكلف كثيراً. ثم إن المؤلف قد اعتمد كثيراً على دقائق الأوضاع التي توحي إلى النظارة بمختلف الأفكار، وكان من كل هذه الأوضاع أدب مسرحي يعني بالواقع حيناً، ويعني بالأثر النفسي أحياناً...

* * *

ويقع العصر الاليزابيثي في مكان وسط بين عصر الاغريق القدماء وبين العصر الحديث. وقد اتخذ هو نفسه سبيلا تفرّد بها. وكان لأوضاعه وظروفه المادية مثل ما كان للمسرح الاغريقي، ومثل ما يكون اليوم للمسرح الحديث. وقد أثرت تلك الظروف المادية أيضاً في ألوان التأليف المسرحي التي عاناها شيكسبير وأقرانه.

أولع الانجليز بالتمثيل منذ العصور الوسطى، وقد تطور المسرح خلال تلك العصور حتى برز في أول العصر الاليزابيثي وهو ما زال مسرحاً فطرياً، وكان الأمراء والنبلاء هم الذين يستخدمون الممثلين في مباذلهم ويأوونهم في قصورهم. وحينما آذن عصر الاقطاع بالاضمحلال اضمحلت معه طبقة الأمراء والنبلاء، فخرج الممثلون من قصورهم هائمين، ولجأ بعضهم إلى الفنادق العامة يعرضون بضاعتهم على الخاصة والدهماء. وكذلك أصبحت تلك الفنادق مثابة يؤمها النظارة والأدباء فيجتمع أولئك وهؤلاء ليشهدوا بعض الروايات الفجة التي تمثل في أحواشها وأفنيتها.

وفي سنة ١٥٧٦ بُني أول مسرح للتمثيل في مكان اسمه Shoreditch ؛ بناه جيمس بربدج خارج أسوار لندن؛ لكنه أقامه على غرار المسارح الفطرية التي اعتادها الناس في الفنادق العامة. بُني هذا المسرح في شكل بيت عادي تقع في أحد جوانبه شرفة تطل على مستوى مرتفع من الخشب. وهذا المرتفع نفسه كان هو المسرح وكان يمتد إلى وسط الصحن الذي أقيم فيه. ولم يكن البناء جميعه مسقوفاً، بل طلقاً يسمح للهواء والنور أن ينثالا إلى حيث المتفرجون. وكان إلى جانبي هذا الصحن شرفات ثُبتت فيها أرائك الخشب، وعرشت بسقوف مائلة. وكانت طبقات الشعب الدنيا هي التي تجلس على الأرض أمام المسرح، وكانت الطبقات العليا هي التي تستوي على تلك الأرائك؛ بل كان بعض المحظوظين من الشباب يجلسون على كراسي تُصفّ خاصة على حافة المسرح نفسه: يُدلون بثيابهم الفاخرة و «يشربون» الطباق. فجوٌّ مثل هذا كان حراً طلقاً لا تشوبه القواعد ولا الواضعات التي نصطنعها نحن اليوم حين نتهيأ لمشاهدة الرواية المسرحية.

كان المسرح الاليزابيثي يختلف كل الاختلاف عن المسرح الحديث؛ فقد كان يخلو من المناظر المصورة والستائر، ولم يكن يعني المؤلفون ولا المسرحيون بالمناظر إلا حين يمثلون أمام الملكة أو في قصور الأمراء. وكان النظارة يلحظون كل الذي يقع أمامهم: فلا فترات بين كل فصل وفصل، ولا تغير بين منظر الكوخ وبين منظر القصر المشيد. وإنما كانوا يلجأون عند تغير المنظر إلى لوحة قائمة إلى جانب المسرح يثبتون فيها اسم المنظر الذي هم مقبلون على مشاهدته، ويمحون منها اسم المنظر الذي انقضى! هذا إلى أن التمثيل كان يبدأ في العصر في وضح النهار، حتى إذا ما غشي الليل أضيئت مصابيح لا تتألق إلا قليلا. فلم يكن إذاً مجال لاصطناع الأضواء الذي يتقنه المخرجون في العصر الحديث.

فخلو المسرح من الستائر والمناظر، ومن السقوف التي تحجب الضوء، أهم مميزات المسرح الاليزابيثي. على أنه من خطل القول أن نحسب أن المسرح في سنة ١٦٢٠ لم يختلف عن المسرح في سنة ١٥٥٠. ولا شك

أن الحيل المسرحية قد تقدمت كثيراً خلال السبعين سنة التي تفصل مبدأ عصر إليزابث ومنتهاه . فقد قامت محاولات لتصوير المناظر ، وأقيمت دور تمثيل سميت « المسارح الخاصة » ، كان فيها كثير من وسائل الراحة والترفيه ، وكان صحنها مسقوفا ، وحاول أصحابها أن يكون لها مصابيح قوية خاصة . على أن ذلك الفن المسرحي حين اطرد في طريق التقدم لم يكن ذا أثر في التأليف المسرحي عند شيكسبير ، لأن الكثرة الغالبة من مسرحياته قد ألفت لتمثل في مسارح عامة من النوع الأول : تلك التي كانت تخلو من المناظر والستائر ، ومن الضوء ومن لازمات الإخراج . وإذا كان قليل من المناظر ، قد استخدم في هذا النوع الأول ، فقد كان هو القليل الذي لا يجدي . فمسرح شيكسبير إذاً كان يخلو من زخرف المسرح الحديث .

على أن ذلك القصور في الزخرف وفي تصوير المناظر لم يمنع الانجليز على عهد إليزابث من أن يعنوا باللبوس المسرحي . فقد شهد الأجانب بالزينة التي كان يتخذها الممثلون الانجليز وهم على المسرح . لكن لباسهم لم يتغير بتغير المواضع ولم يختلف باختلاف الأزمنة الممثلة . فالاغريق والرومان القدماء كانوا يظهرون على المسرح في لباس السادة الانجليز . و « كريولانس » كان يحمل نفس السيف الذي كان يحمله « هوتسپر » . ويوليوس قيصر كان يحمل نفس الصولجان الذي يحمله هنري الخامس . والجند الذين ظهروا في قصص الرومان ، وفي القصص الانجليزية القديمة ، كانوا يلبسون الزرد والحديد الذي يلبسه الجنود في العصر التيودوري . ثم إن أشجارا وحجارة وصخوراً وعروشاً كانت تنقل على المسرح من جانب إلى جانب من غير أن تختفي وراء الستائر و « الكواليس » . ونرى من كل ذلك أن الجهود التي بذلت في سبيل التصوير لم تبلغ حتى ولا القليل من ذلك الزخرف الذي نشهده اليوم . ولم تكن فكرة التوفيق بين الممثل وبين لباسه تسيطر على التمثيل كما تسيطر عليه اليوم ، وكانت أدوات المسرح وعدته في أول نشأتها الفطرية .

وشيء آخر يميز المسرح الاليزابيثي عن المسرح الحديث : ذلك هو خلو المسرح الأول من النساء . وكانت المرأة قد وصلت إلى شأو عظيم في عصر إليزابث ، لما كان للملكة نفسها من الأثر في الحياة العامة . إلا أن المرأة لم تقدم على احتراف التمثيل إلا بعد ذلك بنصف قرن أو يزيد . وحينما خلا مسرح شيكسبير من المرأة استعيض عنها ببعض الصبيان . فكان الصبي منهم يقوم على المسرح مقام المرأة ، توكل إليه أدوارها ويلبس لباسها . وكان في هؤلاء الغلمان ميزات ليس أقلها أن يكونوا دون البلوغ حتى يؤدوا أدوارهم بنغم يشبه أنغام النساء .

***

كيف أثرت تلك الأوضاع المادية التي تفرد بها المسرح على عهد إليزابث في طريقة التأليف عند شيكسبير ؟ إن أول ما نلحظه في هذا السبيل ، أن رواية شيكسبير كانت تؤلف لتسد فراغاً يشعر به المسرح ، وأن المنافسة الحادة التي كانت بين المسرحيين ، أوجدت نوعا من الكفاح بين المؤلف والمؤلف ، حتى لقد تخرج المسرحية من بين يديه في شهور . وإذاً فقد جاءت مسرحياته إلا قليلا بوحي من النفس لا تعمّل فيها ولا تكلف . وقد تحدث عنه معاصر من الطابعين . فقال إن أصول كتابته خلت من الحذف والشطب . فمثل شيكسبير إذاً مثل الكاتب العملي الذي كان عليه أن يرضي حاجات الساعة التي هو فيها ، ولن يرضي حاجات الساعة حتى يتبع ما تواضع عليه الممثلون والمؤلفون في عصره .

والعلاقة بين المؤلف والممثل في ذلك العصر كانت

وثيقة ، بحيث لم يكن يستطيع أن يستغنى أحدهما عن الآخر ، بل لم يعرف المخرج بينهما ، لأن المخرج لم يكن له وجود . وقد جمع شيكسبير فى نفسه الشخصيتين ، فوفق بين التأليف وبين التمثيل . وكان شيكسبير المؤلف يدرك حاجات شيكسبير الممثل أيما إدراك . وكان عليه أن يوفق بين معانيه الفنية وبين مسرحه الخاص ، بل كان عليه أن يحسب حسابا لكل الظروف التى تحيط به . فليس من صحة النقد أن نذهب إلى أن شيكسبير أنتج الفن من أجل الفن وحده . بل علينا أن ندرسه كقطعة من حياة انجلترة . وقد امتلأت مسرحياته جميعاً بهؤلاء الإنجليز الذين عاش بينهم ، ومثل من أجلهم ، وألف ليرضيهم . وأنت ترى فى كل ذلك ألواناً لا تراها إلا فى أدب الصحافة اليوم من وصف أناس أحياء يعيشون ويضحكون ويحزنون كما كان يفعل الانجليز فى عصر إليزابث .

ولما خلا المسرح من المناظر المصورة كان على المؤلف أن يعتمد كل الاعتماد على هؤلاء النظارة الذين يؤمون المسرح ليشهدوا المسرحية . وفى كل مسرحية ينبغى أن يكون هناك خداع نفسى ، يختلس من المتفرجين عقيدتهم ، ويجعلهم يعتقدون أن ما يرون ويسمعون من الحوادث والأحاديث إنما هو الحقيقة بعينها . وليست وظيفة المناظر والستائر إلا ذلك الخداع . فالمخرج الحديث يصطنع هذه الصور وتلك الستائر والأضواء والموسيقى حتى يقنع الرائى بأن الذى يراه هو الحق . لكن شيكسبير فى ذلك المسرح الفطرى لم يجد شيئاً يخدع به النظارة إلا الشعر . لقد كان على شيكسبير كما كان على معاصريه ، أن يؤلفوا شعراً يأخذ بألباب هؤلاء حتى يسلبهم عقيدتهم الشعرية ويجعلهم يتخيلون المناظر والحوادث كما ينبغى أن تكون ؛ لذلك امتلأ شعر شيكسبير بالتصوير — امتلأ بتلك المجازات والاستعارات الجريئة التى تثير السمع والأبصار ، وامتلأ بتلك المبالغات التى يبرز بها فى نفس السامع ما يبرز ، وهو فى كل ذلك ينشىء صوراً عقلية تروح وتغدو فى خيال سامعيه .

لذلك كان شعر شيكسبير شعراً رومانتيكيا يميل للخيال . وكان الناس أنفسهم فى أرض دار التمثيل وعلى الأرائك المصفوفة يميلون إلى ذلك الجانب الخيالى من الشعر . كان يستبد بهؤلاء فكرة خيالية ، أنشأتها أحداث التاريخ فى عصر إليزابث . فقد كان الناس يعيشون فى عصر من عصور البطولة ، سمعوا فيه من قصص أبطال البحر مثل « فرنسيس دريك » و « ولتر رالى » وتلقفت تلك القصص بالخرافة والوهم . فكان خيال الناس نهما يريد أن يشبع . وكان على شيكسبير ومعاصريه أن يشبعوا هذا النهم ، فكان ذلك الشعر السامى الذى تمتاز به مسرحيات شيكسبير .

وما دام قد خلا المسرح من المناظر والستائر ، وما دامت نفوس الناظرين مشوقة إلى كل ما يبعثه الخيال والخداع ، وما دامت العقول مستعدة لأن تصدق كل خرافة تكبر فى الوهم ، فقد اتخذ شيكسبير موقفاً خيالياً حينما أكثر من مناظر الفصل الواحد ؛ وحينما انتقل بحوادث القصة من مكان فى أقصى الأرض إلى مكان آخر فى أقصى الأرض . وقد ينتقل شيكسبير فى لمح البصر من روما إلى الاسكندرية ، وقد يطير من نابلى إلى بوهيميا ، فتحس أن فى ذلك خروجاً عما يقتضيه المعقول ؛ لكن شيكسبير كان يكتب لقوم استبدت بهم العقيدة الشعرية ، فلم يجدوا فى تغير المناظر ، ولا فى اختلاف الزمان والمكان شيئاً يخالف العقل . ولقد يجد المخرج الحديث عسراً حينما يحاول أن يصور المناظر المتلاحقة التى تتسلسل فى الفصل الواحد ؛ لكن القائمين بأمر المسرح فى عصر إليزابث كانوا لا يجدون عناء فى أن يكتبوا على

من تاريخ الصحافة المصرية :

جرنال الخديو

— ١ —

لا أذكر جديداً حين أعرض لقدر الصحافة عند الأمم المتحضرة ، وهي السلطة الرابعة التي يؤمن الكثيرون بأن لها الصدارة في كثير من اتجاهات الفكر وتطور الرأي وعلاج المسائل على نحو قد تهابه جميع السلطات الأخرى ، لذلك يرى بعضهم أن تاريخ الصحافة في العالم هو تاريخ تطور الفكر البشري .

وآية ما نذهب إليه أن جريدة التيمس في تاريخها الحافل تتضمن النشاط الانجليزي في نواحيه الاجتماعية والسياسية والتشريعية ؛ وليس هذا فحسب ، بل إن مصائر بعض الشعوب الأخرى كانت ذا علاقة وثيقة ومباشرة بما أذاعته تلك الصحيفة ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ؛ فلا عجب إذاً أن كانت جريدة التيمس أهم كثيراً من تاريخ بعض الدول التي تحتل شطراً كبيراً من خارطة العالم ، لحظ الصحافة من حياة الشعوب حظ موفور النشاط مقدور الأثر .

وينبغي أن نذكر أن صحافتنا مهما تكن حديثة عهد بالقياس إلى مثيلاتها في البلاد الأخرى ، فهي ليست شيئاً تافهاً لا يستأهل أثارة من وقتنا ، فالصحافة المصرية تحمل في طياتها التاريخ المصري الحديث منذ احتلال الفرنسيين لمصر سنة ١٧٩٨ إلى وقتنا الحالي .

وقد شهدت مصر نشاطاً في الطباعة والصحافة على عهد الحملة الفرنسية لم يشهده بلد من بلاد الشرق كله ، إذ أصدر بونابرت القائد العام لهذه الحملة جريدتين ، إحداهما صحيفة إخبارية لجنوده وضباطه ، فيها أنباء الداخل والخارج ؛ والثانية مجلة علمية لتلاميذ الحملة وعلمائها ، وهي في التاريخ وثيقة من أفضل الوثائق الخليقة من تاريخ مصر في السياسة والاقتصاد والاجتماع ..

ومهما يكن من أمر هاتين الجريدتين فهما لا تعتبران من الصحافة المصرية الخالصة ، إذ أنهما جريدتان رسميتان

تلك اللوحة القائمة على جانب المسرح ما شاء لهم المؤلف . كانوا يثبتون روما والاسكندرية ونابلي وبوهيميا ، أو يمحونها في سهولة ويسر .

زد على ذلك أنه كان على شيكسبير أن يأسر خيال النظارة بأن يخلق شخصياته الروائية وبأن يجوّدها حتى تأخذ من نفوس السامعين وحتى « تعلق » تصورهم وتعد في وهمهم . فكل شخصية عند شيكسبير تخلق الوحدة التي تربط فصول الرواية الواحدة . وربما كتب المنظر الواحد حتى يكوّن عنصراً واحداً من شخصية البطل ، وربما أجرى على لسانه كثيراً من الشعر يناجي به نفسه حتى يتعمق الناظر إلى أغوار نفسه . كانت هذه الحيل يسيرة في ذلك العصر ، لكنها عسيرة لمن لا يدرسها دراسة عميقة من الرائين في العصر الحاضر .

* * *

وبعد فلعلك قد رأيت معي أن شيكسبير لم يكن إلا كاتباً عملياً ، ألّف ليرضي حاجات الجمهور الذي كان يشهد مسرحياته . وقد نجح كمؤلف لأنه استطاع أن يرضي تلك الحاجات . فلا يحسبن أحد أنه كان متفنناً يكتب الفن من أجل الفن ، بل لقد كان مؤلفاً يكتب المسرحية لتمثل وتمثل المسرحية ليكسب . ولكن لقد بقي بعد ذلك في مسرحياته شيء عميق ، هو الذي كان يأسر به خيال الجمهور في عصره : ذلك الشيء العميق هو الشعر .

(بي سي بي) أحمد خاكي

للحملة الفرنسية ، بقيتا تصدران باللغة الفرنسية وحدها حتى جلا الفرنسيون من مصر سنة ١٨٠١ .

حقاً أن الحملة الفرنسية حاولت فى أخريات أيامها إصدار جريدة باللغة العربية ، وأصدر قائد الجيش مرسوماً بإنشاء تلك الجريدة ، وعين لها الراقبين والمحررين ؛ غير أن الظروف السياسية واضطراب الأمن واختلاف الرأى ، حال كل ذلك دون تحقيق هذه الفكرة الطيبة ؛ وأخر إنشاء أول صحيفة عربية خمساً وعشرين سنة أخرى حين فكر محمد على فى إصدار أول جريدة مصرية .

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ أنى أقصد الوقائع المصرية الصادرة فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٨ ، والتى يعتبرها كل من مس تاريخ مصر من هذه الناحية أنها الجريدة المصرية الأولى ؛ ولكنى أحب أن أذكر — ولعلى أول من يذكر ذلك باللغة العربية — أن الوقائع المصرية ليست الجريدة الأولى منذ عهد محمد على الكبير ، فقد سبقتها محاولة طيبة هى موضوع حديثنا اليوم .

لم يشتر محمد على مطبعة الحملة الفرنسية ، وهى عبارة من ثلاث مطابع فرنسية ومطبعتين عربيتين ومطبعة يونانية ؛ لم يشتر المطبعة ، وأضاف إليها كما تقول بعض الكتب ، بل إن محمد على أنشأ مطبعة فخمة فى سنة ١٨١٩ مدها بالحروف العربية والفارسية والفرنجية واليونانية من صنع ميلانو ، كما اشترى من بلدة ليفورنو Livorno أصناف الورق المختلفة ، ودأب على ذلك إلى أن أصبحت صناعة الورق والحروف من الصناعات الوطنية ، ولم تكن مطبعة بولاق وحدها فى خدمة الحكومة المصرية ، بل كانت هناك مطابع أخرى صغيرة بلغ عددها تسعاً ، منها مطبعة المدفعية بطره ، وأخرى فى أبى زعبل ، وثالثة فى مدرسة الفرسان بالجيزة ؛ وكانت وظيفة هذه المطابع جميعاً طبع لوائح وأوامر ودفاتر الحكومة ، وكتب وكراسات المدارس .

وليس يعنينا من أمر هذه المطابع شىء بالذات ، غير مطبعة صغيرة مماثلة المطابع التسع التى ذكرت طرفاً من وظيفة بعضها ؛ وهذه المطبعة التى أتحدث عنها تعتبر فى تاريخ الصحافة المصرية حدثاً له خطورته ومكانته عند المؤرخ ؛ فهى مطبعة خاصة (بجرنال الخديو) ، وهى الجريدة المصرية الأولى . كانت المطبعة فى القلعة مستقرة فى جناح خاص بالقرب من الوالى التركى ، وهو أول مواطن مصرى عرف قدر الصحافة والطباعة فى حياة الأمم ؛ وكانت هذه المطبعة صغيرة مناسبة للجريدة المصرية المسماة (جرنال الخديو) ، تتألف من بضعة أحجار ضئيلة ، ويقوم على خدمتها بعض العمال والموظفين .

وقد يبدو من اسم هذه الجريدة أنها شىء تافه لا ينبغى أن نزعم له صفة قريبة أو بعيدة من الصحافة . بيد أنى أحب أن أقرر أن جرنال الخديو كان ذا تاريخ حافل لفترة من الزمن تزيد على خمس سنوات ، كان ميداناً خصباً لتسجيل نشاط مصر الاقتصادى والاجتماعى والأدبى أيضاً . وأحب أن أقرر مرة أخرى أن (جرنال الخديو) لم تقف على خدمته مطبعة القلعة بأحجارها وعمالها فحسب ، بل وقفت الحكومة كل نشاطها على هذه الجريدة .

أنشأ محمد على لجرنال الخديو إدارة واسعة يتولاها رجل موثوق به ، يؤثره الوالى ويجعل من إدارته واسطة بينه وبين مختلف الادارات فى القاهرة ومراكز الحكومة فى الأقاليم ؛ ويضم هذا الديوان الكبير نخبة من الكتاب والمحررين الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية ، على رأسهم (محمود أفندى) ، وهو موظف له من ثقافته وواسع خبرته وجده ونشاطه ما يسمح له بمكانة الأمين الأول عند الباشا ؛ ومحمود أفندى هذا فى تاريخ الصحافة المصرية أول مدير ومحرر لجريدة مصرية ؛ وكانوا يسمونه (جرنال ناظرى) ، أى ناظر الجرنال الذى يرفع للوالى بين آن وآخر .

لم تكن إدارة الجرنال أو إدارة الجريدة الرسمية بمعنى أوضح تقتصر على القـاهرة ، بل كان للمدن المصرية الكبيرة دواوين على غرار الديوان الرئيسى فى القاهرة ، يرأسها ناظران عامان للأخبار : أحدهما فى الوجه القبلى ، والثانى فى الوجه البحرى ، يتلقيان أخبار المدن والقرى ، كل فيما يخصه ، ثم يرتبانها ويصوغانها صياغة صحفية لا بأس بها ، ويرسلانها إلى الديوان العام بالقاهرة ، وفى القاهرة يستقبلها ديوان الجرنال ، ويتولى بحثها وتنقيحها وتبويبها . . . — وهذا أسلوب صحفى من غير شك ؛ المحررون فى القـاهرة والراسلون فى العواصم والمدن والقرى يرسلون بأخبـارهم ، والجريدة تراجعها وتنقحها ، ثم يعرضها رئيس التحرير محمود أفندى على رئيس الدولة ويقرؤها له ؛ فاذا فرغ من قراءتهـا علق محمد على عليها وأشار بملاحظ فيما خلت من أنباء ، ويمضى محمود أفندى يكتب المصالح والدواوين معلقاً الباشا وملاحظاته ، ويشير على كل ديوان بواجبه ، قاصداً من ذلك الرقابة على كل مصلحة وقلم ، وأن يكون جرنال الخديو سيفاً مشهوراً على كل مهمل يغفل من حسابه جريدة الوالى التى تنقل إليه ما خفى وما ظهر .

وفوق الأخبار العامة التى تتصل بالأمن أو حيـاة المصريين العادية ، دأبت جريدة الوالى على نشر خلاصات لأعمال الدواوين والمأمورين فى كل أسبوع ، بحيث توضع هذه الخلاصات المتباينة فيما يتضمنه عادة جرنال الخديو . وقد أشارت الوثائق الموجودة بمحفوظات سراى عابدين العامرة إلى بعض ما كانت تتضمنه مجلة الخـديو كمقدار « المال المتحصل فى كل أسبوع وكميات الغلال والأصناف الأخرى ، حيث يعلم منهـا الأمير نشاط المأمورين أو تكاسلهم » ، وطلب (جنابه العالى) كما تشير وثيقة أخرى ، بأن يتداول حبيب افندى — وهو من رؤساء الديوان العالى — « مع الخواجه حنـا ، والمعلم باسيلوس » فى البيانات التى ينبغى أن يرسلها نظار الدواوين من حركة بيع وشراء الأصناف المختلفة إلى جرنال الخديو ، حتى تقف الدولة على درجة سعيهم وإقدامهم .

أثبت جرنال الخديو أن المأمورين والمديرين لم يتوانوا قط فى تلبية أوامر الأمير الـكبير ، فوافوا إدارات الجرنال من هنا ومن هناك بما يكفل لهذه الجريدة النشاط ويجعل لوجودها ضرورة للوالى من حيث رعاية المصالح العامة ، ومعرفتها معرفة صحيحة ، وتقـدير المسئولين من خلال ما تثبته الجريدة الرسمية .

وقد يبدو من هذا العرض لـناحية (ديوان الجرنال) أنه كان وقفاً على الوالى دون حكومته ، وأن صحيفة هذا الديوان صحيفة شخصية ، لا يعنى أمرها إلا أمير البلاد ، وبأن مطبعة القلعة كانت تقوم بخدمة هذه الجريدة الخاصة بمحمد على وحده ، والحقائق التاريخية تضيف إلى ذلك شيئاً جديداً بأن جرنال الخديو ليس صحيفة خاصة بمحمد على ، وإن صدر بأمره ووضع تحت ملاحظته وإشرافه ؛ فقد أنبأنا أحد موظفى المطبعة الأميرية فى نشأتها الأولى ، يحدثنا عن ديوان الجرنال أن جريدة الخديو لم تكن أسبوعية ، وإن كانت الأنباء تصل أسبوعية ، بل كانت جريدة يومية ؛ وكانوا ينشرون فى كل يوم بعض الأخبار ، مقدمين الأهم على المهم . . . فالجريدة المصرية الأولى جريدة يومية ، يطبع منها فى كل مرة مائة نسخة توزع على أساطين الدولة ، وهى من حيث لغتها أشبه ما تكون بالوقائع المصرية ؛ فكانت تصدر باللغتين العربية والتركية ، ولهذا خلط الـكثيرون بين الوقائع وبين جرنال الخديو ، واعتبروها جريدة واحدة ، إلى أن أثبتت الوثائق الحـديثة الخلاف العميق بينهما .

وأحب أن أسجل شيئاً لطيفاً من جرنال الخديو ؛

فالصورة التي ذكرتها تصوره ورقة رسمية جافة ترفع للوالي ، أو جريدة رسمية مع شيء من التجوز ترسل إلى رجالات الدولة ومأموريها الذين يعنيهم أن يقفوا على أحوال البلاد صغيرها وكبيرها ، كما تقول الوقائع المصرية في افتتاحية العدد الأول « ووضع ديوان الجرنال قاصداً من وضعه أن ترد الأمور الحادثة الناتج منها النفع والضرر إلى الديوان المذكور ، وأن ينتخب وينتقح فيه منها ما منه ينتج النفع والضرر ، ينتخب ما منه تصدر النفعة ، ويجتنب عنه ما منه يحصل الضرر ؛ وهذه الارادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولى النعم ، وإن كانت قد جرت في ديوان الجرنال إلى الآن ، إلا أنها لم تكن عمومية » ، وإلى ما ذكرته الوقائع والوثائق من تصور جرنال الخديو ، أحب أن أضيف أن جزءاً من صفحات هذه الجريدة الرسمية قد خصص لنشر بضعة فصول من « ألف ليلة وليلة » ، وأنه فقد قيمته كجريدة رسمية لما صدرت الوقائع المصرية صحيفة الدولة والجمهور ، وإن بقيت مطبعته في القلعة ، ومضى موظفوه يؤدون واجبهم في حيز ضيق مقتصر على الأخبار الخاصة التي يجب أن يعرفها الأمير بنفسه .

وقد كان جرنال الخديو يعرض على الباشا في كل يوم ، ولا تحول أسفاره دون الاطلاع عليه ، إذ أن بعضهم قد تخصص لنقله يومياً إلى الباشا ، سواء كان في القاهرة أو في الاسكندرية ، أو في غيرهما من مدن القطر ، لا يقف سوء المواصلات دون تحقيق هذه الرغبة ، واطلاع الوالي على أخبار دولته .

والفروق واضحة بين جرنال الوالي والوقائع المصرية التي يعتبرها الناس أول جريدة مصرية عربية ، فهو عبارة عن تقريرات ترفع للباشا في أوقات معينة ، ويوزع منها نسخ على موظفي الحكومة المسئولين ليشتركوا مع السياسة العليا في الاتجاهات التي احتوت عليها التقارير ، والتي من شأنها أن تحملهم على علم بمجرى الحوادث ، وتدلهم على الأمور التي تهم الوالي وحكومته ؛ وقد أذاعوا فيها بعض القصص مما يجعل قراءتها محتملة ، والرغبة فيها موفورة .

***

إن جرنال الخديو محاولة طيبة لإصدار صحيفة رسمية يشترك فيها موظفو الدولة ويطالعها جمهرة المتعلمين المصريين ؛ ولا يقف نشاطها عند الأخبار الداخلية ، بل تضم في أعطافها من الحوادث الداخلية والخارجية ، والموضوعات الأدبية والعلمية ، ما يجعلها جديرة بالقراءة في جميع الأوساط ، وإن كل من يتحدث عن الوقائع المصرية خاصة ، والصحافة في مصر عامة ، يذكر (جرنال الخديو) على أنه أول صحيفة مصرية خالصة ، وأول صحيفة عربية في الشرق كله .

ابراهيم عبده

التخصص والاصلاح

حركة أو سكون : لعل المؤرخ الذى ليست له المراجع الوافية عن الحياة المصرية ، لا يعجز عن القول بأن الجيل الذى نعيش فيه اليوم ، بما يحيط به من أوضاع وهيئات ومنشآت ، أكثر فى الحديث والتعبير من الجيل الذى سبقه ؛ فالجرائد اليوم أكثر منها فى سنة ١٩١٠ مثلا ، سواء فى عددها أو فى عدد صفحات كل منها أو فى تنوع الموضوعات التى تعالجها . وما يقال فى الجرائد يقال فى المجلات والكتب أيضاً ، بل إنه ليقال فى قادة الرأى وزعماء الفكر . فالنظام السياسى ديمقراطى يسمح للبرلمان وأعضائه بالتحدث والاكثار من الأحاديث . والجامعة بأساتذتها قد قامت بالشىء الكثير فى هذا الباب . والهيئات والجماعات الخاصة قد رفعت أصواتها وأعلنت ما يبدو لها من آراء وأفكار . فالكلام كثير والمتكلمون كثيرون جداً ، والموضوعات التى تلوكها الألسنة وتجرى بها الأقلام لا تقع تحت حصر . ومن هذه الموضوعات ما هو شديد الاتصال بحياة الأفراد ، ثم بحياة الأمة بالتبعية . ومن أهم هذه الموضوعات موضوع الاصلاح الاجتماعى . فلست تجد اليوم جريدة أو مجلة أو مؤلفاً أو حزباً أو جماعة إلا ولها أحاديث وأفكار فى الاصلاح الاجتماعى . بل إنى لأتجاوز هذا الحد إلى القول بأنك لن تجد فى مصر — وخاصة فى مدنها — إنساناً ، إلا وهو يتحدث فى الحياة وإصلاحها . وكل هذه الأحاديث فيها الكثير من الآراء ووجهات النظر المتباينة ، ولكنها جميعاً تتجه اتجاهاً واحداً ، هو فى طريقه المؤكد نحو الوضوح والجلاء .

مخزن البضائع : هذا النشاط الفكرى المتعدد النواحى والاتجاهات ، كانت له دون شك الآثار البعيدة فى توضيح الكثير من شئون الحياة ، حياة الأفراد وحياة الجماعات ؛ وكان من نتائج هذا النشاط الفكرى أن ازدحمت الأذهان المستيقظة بالشىء الكثير من كل ناحية ، ولكنه فى كثرته شغل العقول شغلا دائباً ، حتى أصبح كل ما نبذله من جهد فكرى يتجه نحو الاكثار من الآراء ، تذكرها ، جمعها ، القدرة على عرضها عند الحديث أو الكتابة . وأصبحنا وما إن تذكر أمامنا مشكلة من المشكلات ، إلا وقد تداعت المعانى والأفكار فى أذهاننا فى كثرة وسرعة وتدفع . هذه الأفكار الكثيرة تختلط ببعضها وتمتزج امتزاجاً شديداً . فبينها الفكرة الأساسية ، وبينها الفكرة التفصيلية الثانوية . بينها الفكرة الصحيحة ، والفكرة الزائفة . بينها النظرة العملية الواقعية ، وبينها النظرة الفلسفية المطلقة . كلها تتفاعل وتتجاوب فى الأذهان ، ولكنها لا تستقر ولا تستوضح ولا تترتب ، مما جعلنا نعانى من القلق الفكرى ، والتخمة الذهنية ، التى تسبب لنا الكثير من التعب ، تعب بين أفكارنا والسيطرة عليها ، وتعب بين أفرادنا والمتناقشين معنا ، وتعب بين أنفسنا وحياتنا فى المجتمع الذى نعيش فيه . وأصبحنا فى حال لا تكاد تسمح لنا إلا بلمس المسائل التى تعرض لنا فى كثرة وسرعة . فنحن نلمسها ولا نكاد نتبينها فى وضوح وتفصيل وجلاء ، كالسائر فى مخزن مزدحم بالأشياء المتراكمة يظلل بعضها بعضاً ، نراها ونلمسها ، ولكن ليست لدينا الفرصة الهادئة لنتأمل ونتمعن ونرسم صورة واضحة دقيقة .

زحمة مقلقة للفكر : بذلك أصبحنا فى حال تسمح لنا إذا تحدثنا فى الاصلاح الاجتماعى مثلا أن نذكر مشكلاتنا الاجتماعية ؛ وأن نعددها فى سرعة وسهولة : الفقر ، الجهل ، المرض ، الأخلاق ، النسل ، المظاهر ، الاندفاع ... الخ . ولن يعجز رجل مصرى عادى ، أو حتى

فتى في عهد الدراسة الثانوية ، من أن يقول لك الشيء الكثير المختلط عن هذه المشكلات والمعضلات ، ولن يصمت رجل أو فتى من التحدث والمناقشة وتكرار الكثير مما سمع أو قرأ أو شاهد من أقوال وأفكار ومشاهد ... حتى أصبحت حياتنا تمضى فى الأحاديث والمناقشات وصناعة الكلام .

الحياة والفكر : ولكن الحياة بطبيعتها حركة وممارسة وتصرف ؛ وقل من الناس من يسترح إلى الفكر الخالص دون التصرف . لذلك لم تلبث اليوم حتى أصبحنا نسمع الكثير من الأصوات تنادى بالعمل ، وتدعو إلى التنفيذ ، وتعلن الضيق ، والقلق ، وشعور التناقض ، والحرمان ، وعدم الانسجام بين ما يتردد فى الأذهان وبين ما يحدث فى الحياة فعلا . وهذا الدور هو الثالث فى الترتيب بين أدوار إصلاح الحياة وترقية المجتمع . فالدور الأول هو دور المشاهدة للحياة التى تخالف حياتنا والأحوال التى تخالف أحوالنا ، والدور الثانى هو دور البحث والمقارنة والتحدث فيما بين الجانبين من خلاف ، والدور الثالث هو دور الامتلاء بالأفكار والمطالبة بتحقيق هذه الأفكار التى أصبحت للشعب فى مواضع الرغبات والآمال والصور المثالية .

مطالبة بالعمل : وهذا التطور الذى تمر به الحياة المعنوية والنفسية فى مصر ، تطور طبيعى معقول ، بلغ أهم النقط وأخطرها ؛ إذ لو طال بنا الحديث والكلام ، وخفت حرارتنا فى المطالبة بالاصلاح العملى التنفيذى ، لكان معنى ذلك تبلد إحساساتنا ، وفقدان العلاقة بين أفكارنا وحياتنا ، ولبات الأفكار بالنسبة إلى حياتنا فاقدة لكل تأثير أو توجيه أو إثارة ، ولأصبحت حياتنا — وقد تجمدت وتصلبت — إطاراً لا فكاك لنا منه ؛ وعلى ذلك فرحبا بالدعوة إلى العمل ، دعوة حارة مخلصة ، فهى دليل الحيوية والشعور ، ودليل على أننا نحس بأنفسنا ، وبوجودنا الحاضر بما فيه من علل ومزايا ، كما أنه دليل على إحساسنا بوجودنا فى المستقبل بما له من مزايا أيضا ، وبما يحيط به من آمال سامية ، وبالصورة المثالية التى صورناه بها ، وهى صورة لو بولغ فى رسمها فان المبالغة فى الرسم مبالغة فى التسامى والمثل .

سؤال : ما إن تبلغ بنا الحال إلى كثرة سماع الأصوات التى تنادى بالعمل ، حتى ينشأ بين الشعب أفراد وهيئات قد امتلأت أذهانهم بالنظرة الواقعية ؛ فهم يقولون لك إنه لا فائدة من الكلام ما دمنا لا نعمل ، فنحن نريد عملا . نريد إصلاحا ، نريد تحقيقاً المثل والأوضاع التى امتلأت بها صفحات الأذهان والكتب والمجلات والجرائد ، نريد أن نعيش وأن نجدد حياتنا ، أو على الأقل أن نطعمها فننفث فيها روحا جديداً ، حتى نشعر بأننا نعيش ولا نتكلم فقط . وترتفع أصوات هذه الجماعات وتشتد حتى يظنون أن شدة ندائهم ستغير من حياة الناس وأوضاع العيش ؛ ولكن حياة الناس باقية على حالها لم تتغير ، وأوضاع العيش ثابتة لم تتبدل ؛ وحينئذ يشتد الضيق ببعض الناس حتى ليقولون لك : وكيف نغير حياتنا ؟ كيف ننتقل من حال إلى حال ؟ كيف تتحسن أخلاقنا وتتصفى ضمائرنا وتتطور شخصياتنا ؟ كيف يقل نسل الأسرة وعدد أولادها ؟ كيف أتمتع بالحياة وأشعر بأنى حى سعيد ؟ ما هى الطرق العملية ، طرق الحياة والتصرف ، لا طرق الفكر ومنطق الرأى ، منطق الواقع والممارسة العملية ، لا منطق الفكر والتخيل الذهنى ؟

والاجابة عنه : وللاجابة عن هذا السؤال « كيف » يشعر المجيب وكأنه قد أنزل من عالم الخيال إلى عالم الواقع ؛ فهو يجب عليه أن يرى الحاضر بما فيه من عوامل ، رؤية جيدة ؛ وهو يجب عليه أن يقدم الوسائل العملية المترفقة التى تأخذ الفرد وتسير به فى رفق نحو حالة جديدة ولدها تفاعل الحياة الحاضرة فى الواقع ، والحياة الحاضرة فى

الفكر . هنا يشعر المتحدثون والمجيبون بأنه لا يكفي أن يقال : نريد أسرة قليلة العدد ، وأن هذه الأسرة هي الأسرة السعيدة الميسرة المستقرة . بل يجب أن يضاف إلى هذه الأقوال أقوال أخرى في كيف يقلل النسل ، وكيف يخفض معدل الاخصاب . كيف نترك عادة سيئة ونختط لأنفسنا بدلا منها عادة طيبة ؟ كيف نمارس هذه العادة الجديدة ؟ كيف نتخلص من العادة القديمة ؟ كيف نبقي في نفوسنا عناصر الارادة والمثابرة واليقظة الذاتية والرقابة على النفس .

التخصص : وهنا يبدأ التخصص . إذ أنه لا يسهل على كل مفكر أن يقول لك كيف تربي إرادتك ، وتحافظ على شخصيتك المفكرة أو الشاعرة ، وتقلل من نسلك ، وتحب إخوتك حباً متعقلا ، وتحتفظ بأصدقائك ، وتكسب تكاليف عيشك ، وتفيد من قراءة كتاب ، وتتمتع بصورة فنية أو قطعة موسيقية ... الخ . كل هذه وعشرات غيرها من الموضوعات تتطلب للارشاد فيها ملكات خاصة ، وتفرغاً للدرس ، وتعمقاً في البحث ومثابرة على الدعوة ، واستقراراً في نفس الداعي .

الشباب والجمهور : هذا هو ما يتطلبه الاصلاح اليوم . الوسائل العملية ، جهود كبيرة يقوم بها متخصصون ، مثابرة وإخلاص وتضحية وتعمق ، شعور بالمسئولية الاجتماعية والضمير الاجتماعي ، شباب يرى أنه بتخصيص ساعات قليلة في كل أسبوع يمكنه أن يتعاون مع جماعة من أصدقائه لخدمة أمة بأسرها ، وابعث عناصر السعادة والاستقرار في أفرادها . شباب يوطن النفس على أن ينجح متعاوناً مع غيره . شباب يتوقع ، بحيث إذا فشل في المجتمع فانه قد نجح في نفسه ، إذ أرضى ضميره وعاش وجاهد لبلوغ غاية مقدسة ... ولابد لكل جماعة متعاونة ، يسيرها الغرض الشريف الواضح ، والصالح الاجتماعي ، والاخلاص ، لابد لجماعة مثل هذه أن تنجح وأن تصلح . وما نجاح لجنة التأليف والترجمة والنشر إلا مثال حي لذلك التعاون بين الشباب ، في إخلاص وجهد ومثابرة وتضحية وحب .

المثابرة والاستقرار : وعلى الشباب المجتمع المجاهد المتخصص ، ألا يضيق صدره من الاتساع للكثير من سخافات كتاب الحواشي والأطراف والألفاظ ، فلا شك أن لهؤلاء قاذنهم . وعليه ألا يظن في نفسه العبقرية ، فالحياة طبيعتها الهدوء والنظام لا الشذوذ أو المفاجأة . وعليه أن يتعلم السير لا القفز ، وأن يحسن ترويض نفسه قبل أن يطالب بترويض نفوس غيره ، وأن يعلم أن حياته وعمره لا يتسعان لكل شيء ، بل لقليل من الأشياء ، فما بالك لو كان من هذا القليل جانب من جوانب حياة أمة وكيان شعب ؟ عليه أن يعمل وأن يعمل حتى يفنى ، فانه بناء ، وكل حياته ومجهوداته قد لا تكون أكثر من حجر في علو أسسه ، وكل حجر في هذا البناء حجر مقدس .

أعلم — كما يعلم غيري — أن هذا المقال لن يجدى إلا بين نفر قليلة نادرة من الشباب ؛ ولكني أعلم أيضاً أن هذه الندرة هي الدليل القاطع على كفاية هؤلاء الشبان ، وما هم أهل لتحمله من مسئوليات وتضحيات وجهود .

(ثابت)

ليلة الغـــارة

سيذكر أهل العباسية ليلة منتصف سبتمبر ما نبضت لهم قلوب . وسأذكرها خاصة كأشدهم ذكراً لها . ولا عجب فقد امتحنا تلك الليلة بتجارب الرعب والفزع . وابتلينا رؤية الموت سافراً ، وأحاط بنا جو الظلام والوحشية .

وكانت القاهرة قد ألفت أن تستيقظ فى جوانب متباعدة من الليل على عويل الانذار بالغارات ، متقطعاً منذراً بالشر ، ومتصلا مبشراً بالسلام ؛ ثم وقعت غارات الاسكندرية المفجعة ، وترامت بها الأخبار ، فحمل توقع الشر الناس على الأخذ بأسباب الحذر من اللجوء إلى المخابئ العامة أو المخابئ الخاصة أو الأدوار التحتية ؛ وانقضت الليالى بسلام ، فاطمأنت النفوس ، وتراخت عن الحذر ؛ ولم تعد الحجرة التى أعددتها لاستقبال سكان بيتنا تستقبل أحداً منهم ، ولبثت خالية بستائرها السوداء الكثيفة ونورها الأزرق الخافت .

فلما كانت الليلة المشئومة ، استيقظت كالعادة بعد منتصف الليل على صفارة الانذار ، ففتحت عينى ولما أفق من ذهول النوم ، وظلت ثوانى لا أفقه معنى الصوت المدوى ، ثم أدركت ماهنالك . واستولى علىّ سخط لذلك النذير الذى يطير النوم عن أجفاننا ويرهف أعصابنا ويتركها فريسة السهاد ما بقى من الليل . ولبثت راقداً لا أحرك ساكناً ، وقد أخذت أسترد شيئاً من أفكار اليقظة وأحلام الليل وخواطر يشوبها القلق ... ... ثم تناهى إلى مسمعى صوت غريب ، فأرهفت السمع ورفعت رأسى عن الوسادة فى قلق ، وفى تلك اللحظة جاءنى صوت أعرفه وأحبه من الحجرة المجاورة يهتف بى : « ألا تسمع ؟ ... هذا أزيز طائرة » ... نعم وهو ما كنت منه فى شك . ونهضت على قدمى ، ودلفت إلى النافذة وفتحت أدرافها الزجاجية ، فسمع الصوت واضحاً متزناً متصلا ... وانتظرت آملا أن ينقطع ... أن يغيب فى أفق من الآفاق .. ولكنه استمر فى عناد بغيض مزهق للنفوس ، حتى خلت أن الطيارة تدور فوق البيت ... وجعلت أقلب ناظرى فى السماء ، فلا أرى شيئاً غير النجوم الساهرة ... والأزيز ينبعث من كل مكان ولا يمسك أو يخف أبدا ... وخطر لى أن يكون مصدره طيارات مطاردة ، وقوى الظن عندى سماع الأزيز سريعاً عقب انقطاع الصفارة ، وراق لى الظن ، ورجوت — صادقاً — أن يصح خبره .. وما عتم أن رن جرس الشقة ، فعلمت أن الجيران أقلقهم ما أقلقنى ، وأنهم آثروا أخيراً اللجوء إلى حجرة الغارات كما ندعوها ، وهرعت إلى الباب مستأنساً بالقادمين ، وفتحته فدخل الشيخ سيد مواهب — وهو من ذوى المعاشات — وزوجه ، وحيانى ، ثم قال وهو يأخذ مجلسه المعتاد :

— كأن السماء ملأى بالطائرات .

فقلت له بلهجة انطوت على الرجاء :

— لعلها طائرات المطاردة .

فتمتم قائلا : « على الله » . وقالت زوجه :

— الشتاء قريب ، ومغادرة البيت فى الليل عمل شديد الخطورة ، فينبغى إقناع صاحب البيت بانشاء مخبأ فى الحديقة .

وهممت أن أؤيد رأيها ، ولكن الأزيز اشتد وازداد وضوحاً ، فنسيت ما أردت قوله ، وانتقلت إلى مخدعى ، ونظرت خلال النافذة إلى السماء ، فتراءى لى مشهد جديد ؛ رأيت الأنوار الكاشفة تجول فى رقعة السماء بسرعة جنونية ، فتتماس وتتلاقى وتتقاطع ؛ فخفق قلبى وأيقنت أن ما نسمع من أزيز صادر حتما من طائرات معادية تخبط فى سماء القاهرة على هدى أو على غير هدى . وقبل أن أتحول عن موقفى أضاء الأفق بنور خاطف وهّاج ،

محا ضوء النجوم ... وكنت قرأت كثيراً عن مصابيح المغنسيوم التى تقذفها الطائرات لتهتدى على ضوئها إلى أهدافها ، فلم أشك فى أن ما ينير الأفق واحد منها ، وساورنى الخوف ، وتساءلت مضطرباً : هل نبتلى بما ابتليت به الاسكندرية من قبل ؟ ... ثم سمعت صفيراً غريباً مبحوحاً ، أعقبه على الأثر انفجار مروع اهتزت له الأرض وجاوبته الألواح الزجاجية بطقطقة طويلة ، فجفلت إلى الوراء ، وتوالت الحوادث بسرعة فائقة . فدوى انفجار ثان وثالث ورابع ، وصكت الآذان أصوات غريبة مزعجة ، ثم انطلقت المدافع المضادة بكثرة وسرعة لا يتصورها العقل ، وانقلب الجو الهادئ إلى جحيم من النيران والزلازل والبراكين ، يقلقل النفوس ويكتم الأنفاس . وصرخت السيدة هاتفة : « هلموا إلى المخبأ » . ولكن زوجها هز رأسه بعنف ، وقال بصوت متهدج : « بل نلبث حيث نحن داعين الله الرحيم ... لا ريب أن التعرض للجو مجازفة خطيرة ! » . واطرد انفجار القنابل وانطلاق المدافع ، وجرى الجيران نحونا مهطعين ، نساء ورجالا وأطفالا ، وتعالى الصراخ ، وهتف أناس : « يالطيف ... يا لطيف » . وسمعت شخصاً يقول وقد رأى ضوء المغنسيوم فأساء فهمه : « لقد أشعلوا النار فى العباسية كلها ... وهلكنا جميعاً ... » . وعلى هذا النحو رأيت بعين لا تكاد تميز ما ترى الوجوه المفزعة التى هرعت نحونا صارخة . وجاءت أخيراً السيدة التى تقطن الطابق الثالث رافعة طفلها الصغير بين يديها ، وارتمت على مقعدها القريب من النافذة وضمته إلى صدرها لتسكن قلبه المذعور ، وهى فى مثل حاجته إلى من يسكن قلبها ... ولم نحتمل الصراخ فصحنا بالصارخين أن يمسكوا ، وساد السكون الحجرة ، ورف الصمت المذعور بين الذاهلين ، ولبث أشدنا احتمالا يتبادلون نظرات الحيرة ، وكأنهم يتساءلون : أما لهذا الهول من نهاية ؟

وكان بين الحضور سيدة مهاجرة من الاسكندرية ، بلغ بها التأثر مبلغه ، فانتابتها نوبة عصبية غريبة ، فأغرقت فى الضحك ، ضحكا جنونياً لا معنى له ، وذهبت كل محاولة لتهدئتها عبثاً ، وأراد الشيخ مواهب أن يقرأ آية الكرسى ، فبدت نبراته مرتعشة ، وصوته متهدجا : ومضى يتلو مبدأ الآية : « الله لا إله إلا هو » ولا يزيد ، وكأنما أنسيها نسياناً تاماً ، وأما زوجه فكانت كلما أحست هزة عنيفة استغاثت طالبة ماء ، فلا تكاد تفرغ كوباً حتى تطلب آخر .. وأسندت رأسى إلى يدى فوجدت رأسى ساخناً ملتهباً ، وكأن دمى جحيماً قد تركز فى دماغى . وكان أقصى ما أتمناه ساعتئذ أن تكف القذائف لحظة ريثما أعالج أنفاسى المتداركة المضطربة ... وبعد فترة يستحيل تقديرها على وجه صحيح بدأت حدة الضرب تخف رويداً رويداً حتى لم نعد نسمع سوى طلقات منفردة هنا وهناك ، ثم ساد السكون ، فتنفسنا الصعداء ... ترى هل انتهت الغارة ؟.. وهل ولت حقاً الطائرات المغيرة ؟ ... وأبرز أحد الموجودين ساعته وقال بصوت غريب : « مضى نصف ساعة على سماع الانذار ... » نصف ساعة ! ... ونظرت نحوه بحنق وموجدة ... رجوت والله أن يقول بضع ساعات ... وأن الصبح أسفر أو كاد . نصف ساعة فقط ! كل هذا الدهر ثلاثون دقيقة ... تباً له ! ونظرت فيما حولى فإذا الجميع ملازمون أماكنهم والسيدة ما تزال محتضنة طفلها . ولكن لم يطل اطمئناننا ، فانطلقت قذيفة مدفع قريب ، أعقبتها طلقات أخرى شديدة ؛ فارتجفت القلوب مرة أخرى ، وأيقنا أن الموت ما يزال محلقاً فوق رءوسنا . وأن طمأنينتنا وهم باطل . وفجأة أضاء الجو بذاك النور الوهاج الخاطف ، ونفذ إلى الحجرة كأنما حيطانها وستائرها السوداء من زجاج شفاف ، ومحا نور المصباح الأزرق الخافت . فلاح الهلع فى الوجوه وارتسمت فى الأعين نظرة تنذر بالهلاك ، وسمع الصفير

البحوح هابطاً تلاه انفجار شديد دكت له الدنيا دكا وزلزلت زلزالا . وأحدث أصواتاً عنيفة في كل مكان ، لعل أخفها وأهونها تكسر الزجاج خلف الستائر ، وسرت في بنيان البيت رعدة ، انتقلت منه إلى النفوس ، فضجت الحجرة بالصراخ ، ونهض الشيخ مواهب فزعاً رافعاً يديه ، كأنما ليدفع بهما سقف الحجرة وصاح لاهثاً : « سقط البيت ... سقط البيت ... » ، واختلط على الأمر فلم أدر أتصدع البيت حقاً أم ما يزال قائماً . ولكني سمعت صفيراً جديداً خلته أدنى إلينا ، وقبل أن تبلغ القذيفة هدفها طقطقت أدراف النوافذ بشدة ، ولطمتني موجة هواء عنيفة كتمت على أثرها أنفاسي ، فأحسست اختناقاً ، ثم هزة قاسية وانفجاراً يصم الآذان ويمزق شغاف القلوب ، فما أدرى إلا والأرض تصدم وجهي ، وزكمت أنفي رائحة البارود الكريهة ، فاستولى على القنوط ، ودخلني مع القنوط استسلام غريب لا عهد لي به . بل استهانة سافرة ، وقلت لنفسي ونفذت الرواية ، وانتأت سريعاً ... ولبثت دهراً لا أدري كيف مر ، وقد ساد الصمت فداخلني شك في أني ما أزال على قيد الحياة ، أو أني على الأقل ما أزال سالما ... ورفعت رأسي قليلا ، لم أشعر بألم قط ، ولكن ليس معنى هذا أني معافى ، فأنا أعرف أن الاصابات الشديدة البالغة لا تحس الضحايا آلامها وقت حدوثها . ورغبت أن أحرك أعضائي ، وأن أمر بيدي على جسمي ، ولكن لم تسعفني شجاعتي ، وأشفقت من أن أفتقد عضواً فلا أجده ، أو أن تغوص أصابعي في السائل الساخن الذي يمسك علينا الحياة ... ولبثت ساكنا حتى يقضي القدر بما هو قاض ، ومر الوقت في صمت رهيب ، فلا صراخ ولا كلام ولا انفجار . وعاودني الألم ولواحقه من الخوف والقلق . . . هل أمنى النفس بانقشاع سحابة الهلاك ؟ ... أم تسقط علينا الشهب من جديد ويعقبها صفير الموت ؟ ... ومر الوقت ثقيلا — وعلى حين غرة انطلقت صفارة الأمان ...

رباه ... إنه شيء لا يصدق ... ما أحلاها ... ما أجمل ترتيلها ... ما أعذب سجعها . وصاح الشيخ مواهب : « صلوا على النبي » ، فصلينا من الأعماق ، حتى جارنا أنيس منقريوس هتف بحرارة : « اللهم صل عليك يا محمد » وحركت أعضائي فتحركت ، ونهضت قائما لا أكاد أصدق ... رباه ... إنها الحياة تدب في من جديد ، إنه البعث من غير جدال ، فوالله ما عرفت قيمة الحياة كما عرفتها في تلك اللحظة . . ولا لذتها ولا سعادتها ، وفاض قلبي بفرح سماوى ، طربت له أعصابي جميعا ، واندفع الناس في الثرثرة بغير حساب . لولا أن قطع علينا فرحنا سماع صرخة ألمية . فأمسكنا وتحولنا نحو مصدرها متطلعين ، فاذا بالسيدة تحتضن طفلها وتنظر إليه جزعة وتصيح : « أغيثوني ... أغيثوني ... انظروا إلى رأسه » . ودنوت منها ونظرت مع الناظرين ، فرأيت في وسط الرأس فجوة مروعة يتدفق منها الدم كالنافورة ، ويسيل على حجرها أحمر قانيا . فجنت المرأة جنونا ، وجمحت تلتدم وتشد شعر رأسها بوحشية . وركض شاب يدعو الأسعاف . ولكن الشيخ مواهب اقترب مني وهمس في أذني بصوت حزين : « وا أسفاه ! ليس ثمة فائدة ترجى من استدعاء الاسعاف . . . ولكني أعجب كيف أصيب الطفل المسكين ! » . . . فلم تتحول عيناي من رأس الطفل ، وقد لفني الخوف ورانت على صدري الكآبة . . . وتساءلت متحيراً : كيف قتل الطفل ؟ لا شك أن شظية اخترقت النافذة أو الحائط واستقرت في رأسه ، وقد كان أينا عرضة لهذا المصير المخيف ! ولكنها اختارت الطفل وثكلت أمه التاعسة التي ما برحت تضمه إلى قلبها وتأبى أن تصدق أنه مات . . . وهكذا انتهت الغارة في مخبئنا الخاص .

لقد كانت تلك الليلة تجربة قاسية ، ابتليت بها قلوبنا ومشاعرنا ، وكان ختامها مأساة تلك الأم التي ذبح وحيدها في حجرها . . . .

نجيب محفوظ

صريع زنجيـــة

كان فى تلك المعاهد المذكورة زهاء عشرين ألف طالب وطالبة ، لا يكادون يجتمعون إلا على صوت الأساتذة المحاضرين ، فاذا انتهى هؤلاء من بسط أبحاثهم ، تفرق القوم ، وانصرفوا جماعات جماعات ، يقصدون المنازل والمكاتب والمقاهى ، وما إلى ذلك من أمكنة الجد والتلهى .

ولا شك فى أنه كان من الصعب على (طريف) وهو غريب الأهل والديار ، أن يجد بين هذا الجمع المنتثر من يعينه على الدرس والمطالعة .

إلا أن صاحبنا الجرىء المقدام لم يضطرب أمام هذه الصعوبة السهلة ، ولم يحفل بها ؛ ذلك أنه اعتاد منذ الحداثة أن لا ينال من دهره شيئاً إلا بالكفاح وتذليل ما يصطدم به من صعاب وعقبات لا تنقطع .

فلم يمض على نزوله الحى اللاتينى واستقراره فيه وقت بعيد إلا وكانت تحوطه هالة من الطلاب والطالبات يختلفون إليه ، ويقرأون له ما شاء ، بالمال حيناً ، وفى أكثر الأحيان من غير مال .

وكان (طريف) فى بحر السنة الدرسية يختار من هؤلاء الطلبة من تعجبه قراءتهم وترضيه مخالطتهم ، فيدرس معهم منشرح الصدر مغتبط النفس ، جامعاً بين لذة العقل والفؤاد .

أما فى أيام الامتحانات فقد كانت الضرورة تفرض عليه من القراء من يستهجن معاشرتهم والتعاون معهم ، ويجد فى فهم ما يقرأون له واستيعابه عناء كبيراً ومشقة زائدة .

ولعل أعجب من عرفهم فى تلك الأزمنة العصيبة ، واستعان بهم على قضاء الامتحانات هى فتاة زنجية جاءت من جزيرة (غواديلوب) لتدرس الفلسفة فى باريس ، فاتصل بها (طريف) واستقرأها لقاء دراهم معينة خلال شهرى مايو ويونيه سنة ١٩٣٤ .

لقد كانت هذه الفتاة قصيرة القامة ، ضخمة الهيكل ، مخشوشنة الراحتين ، جشاء الصوت ، جافة النبرات ، مفتتنة بالراء الباريسية افتتاناً غريباً حقاً ؛ فهى إن قرأت أو تحدثت كان أول ما تهتم به وتسعى إليه أن تبحث عن الراء ، وأن تتصيدها من بين الحروف رغبة فى (تغنيتها) وطلباً لما بالتغنين من متعة التقليد ، واستمالة الأسماع أو تنفيرها بالأحرى .

ولعل الأكرب من هذا أنها علانية الذهب فيما يتعلق بالرجل ؛ فكما أن أبا العلاء احتقر المرأة واتهمها بكل سوء ، كذلك زنجيتنا العانس ، فانها تحتقر الرجال ، ولا تعترف [illegible] فكأنما والحالة هذه ترد النساء واحتجاجهن الأثيم على تقبيح المرأة » ، وكأن طريفاً هو المسؤول عن [illegible] وإن لم يشاركه فى الرأى ، فقد كانت صاحبتنا الزنجية لا تصافحه إلا مرسلة الأنامل متثاقلة ، ولا تتحدث إليه ، مع ميلها إلى الثرثرة ، إلا بتقزز ، كما أنها لا تقرأ له إلا بعد أن تتقاضى أجرتها سلفاً أربعة فرنكات وربع فرنك عن كل ساعة ، زد على ذلك أنها لا تأتى إليه فى المواعيد التى تضربها له وتسمى هى نفسها آجالها ، إلا متأخرة ساعة أو ساعات . فاذا عاتبها فى ذلك وأبان قيمة الوقت واضطراره إلى الدرس والمطالعة ، ابتسمت قائلة : « من حق الجميلات أن ينتظرن » .

وقد تستبدل هذه العبارة المألوفة عند الفرنسيات بعبارة أخرى ، فتزعم أن الذى أمسكها عن المجىء فى الوقت المعين هو (أفلاطون أو أرسطو) أو غيرهما من فلاسفة اليونان ، وأن التبعة لا تقع عليها ، بل على هؤلاء

المفكرين الذين كانت غارقة فى قراءة بعض مؤلفاتهم ، فنسيت (طريفاً) كما نسيت نفسها ، وطارت كالغراب إلى جبل (البرناس) والأولب ، مقر الفلاسفة والحكماء عند قدماء اليونان .

عندئذ تهبط فيلسوفتنا السوداء من علياء الفلسفة لتقعد على الكرسى ، وتضع رجلا على رجل ، مشعلة سيكارة تدخنها بتلذذ عظيم ، وتتحدث بلذة أعظم عن (إفلاطون) و (أرسطو) ، وعن المادة والروح والفناء والخلود .

وبعد أن تفنى ثلثى عمر الساعة وأياماً (استغفر الله بل أعواما) من عمر طريف يخطر فى بالها أنها جاءت لتقرأ لا لتلقى محاضرة فى الفلسفة ، فتأخذ الكتاب وتشرع فى القراءة ماضغة حب (الباستيل) ومرسلة السعلة تلو السعلة ، والقحة أثر القحة ، حتى إذا ما أدركها الملل أطبقت الكتاب قائلة : «أنا لا أحب الحقوق ، وإنى لأعجب كل العجب كيف استطعت أيها السيد اليائس أن تقبل على هذا النوع من الدرس ، وأن تهمل الفلسفة منار العقول والأذهان» ، ثم لا يلبث الوجدان القلق أن يلهمها الذوق ، فتعود إلى الكتاب ، ثم إلى الحديث ، ثم إلى الكتاب قائلة بحديثها وقراءتها وتصرفاتها صاحبنا طريفا الذى يحتمل أذاها ويصبر على بلواه ، كاظما غيظه وأساه ، مخافة أن يجرح قارئته الحساسة ، فتغضب عليه وتتخلى عن مساعدته فى وقت هو أحوج ما يكون إليها .

إن موعد الامتحانات كان يقترب يوماً بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ، وإن طريفاً يهيىء فى كل دورة من دورات الفحص أكثر من شهادة . فاذا تركته الزنجية كان من الصعب عليه أن يجد زمن الاختبار من يخلفها ، ويمكنه كما كانت تفعل بالتعاون مع أصحابه من متابعة الدرس آناء الليل وأطراف النهار .

فلما انقضى عهد الامتحانات ، ونال طريف شهادتى الاقتصاد السياسى والحقوق العامة ، لم يركن خلال العطلة الدرسية إلى الهدوء إراحة لجسمه وعقله من التعب الذى ألم بهما ، بل أقبل يلتهم الأسفار الحقوقية والفلسفية التهاماً ، ويستعد لنيل أربع شهادات فى دورة تشرين .

ولا جدال فى أن برنامجاً كهذا واسع المعلومات مختلف المواد ضرب من المستحيل ونوع من الجنون ، لما يستلزم من جهد ونشاط يفوقان طاقتنا البشرية .

إن الانسان مهما يكن فطنا سريع الفهم قوى الحافظة فانه كغيره من المخلوقات الحية وغير الحية خاضع جسما وعقلاً لقانون مقاومة الأجسام . فاذا خالف هذا القانون وحمل نفسه أكبر مما تطيق أدركه الوهن ودب إليه الفناء .

وقد كانت نتيجة الدرس المتواصل والنشاط العنيف الذى أبداهما طريف فى مستهل العطلة الصيفية أن تعرض إلى هذا الخطر ، وأوشك أن يقع فيه . فخفف من جشعه العلمى ، واكتفى بتحضير شهادة واحدة لم تكن تكلفه غير عام من الحمية والحمى وأنواع متنوعة من الأدوية والمقويات ، ولولا أن تدارك الأمر بعض خلانه ، وحذروه سوء العاقبة ، لأصاب طريفا ما أصاب قيساً ، ولكان الآن من سكان مقبرة العقول .

وإذا قيل إن اللبيب من اتعظ بغيره ، فان طريفاً أبى إلا أن يتعظ بنفسه . وإلا أن يفنى صحته وشبابه فى سبيل المعرفة عامة ، والحقوق خاصة ، إلا أنه لما أحس فداحة الخطر ، وأوشك أن يكون (كالمنبت ، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) أدركه الجزع وتملكه الذعر ، فكبح جماح نفسه ، وأوقفها عند حدها ، ذاكرا أن الله عز وجل لم يخلق الانسان من جسم وعقل وقلب إلا ليستثمر كيانه كله ، وليعطى الأجزاء التى يتكون منها هذا الكيان

غربة !

صفق القلب فى الضلوع وزغرد
وطغى شجوه فصاح وعربد
ومشى اليأس صافراً فى زواياه
وفى كهفه الأسى يتردد
كم شكا للزمان غربته العط
شى فأرغى الزمان غيظاً وأزبد
صاح ! إن الفراغ أترع نفسى
بقنوط كلوعتى ليس ينفد
فأرحنى من الشكاية والبث يود على الذى يتجدد
أنا فى هذه الديار غريب ألمى لاذع وحزنى سرمد !
إطونى يا حمام فى حلك القبـ ر لعلى هناك أهنا وأسعد !
إطونى إطونى بإلى من الـ ـ
ب ، وعُد بى إليه ، (فالعود أحمد) !

(حمص — سورية) عبد السلام عيون السود

عيناها

إن فى عينيك من سحر الهوى
فِتَناً ترقص فى قلبى سُكارى
كلما أرسلتِ منها فتنةً
تهادى — أشعلت فى القلب نارا
وإذا أمعنتُ سراً فيهما قتلتنى عينك الوسنى جهارا
أنت يافاتنة الدنيا ويا بابل السحر ويافيد الأسارى
لم تكن عينك إلا قبساً كابتسام الفجر يفترّ افترارا
وهى الآن سهامٌ وظُبًا تقتل الصبَّ وتحييه مرارا
فاصنعى ما شئت يا فاتنتى إن فى عينيك ليلا ونهارا !

* * *

هدّتى روحى وقولى لدمى
وبك يا ظمآن لا تشكو الأوارا !
هذه عينى وذيّاك فمى
وإذا الورد رأى خدى توارى

حقوقها الطبيعية ومطالبها الشرعية من غير ما إسراف أو تقتير .

وعلى هذا الأساس البسيط المتين الذى يستمد بساطته ومتانته من طبيعة الانسان وضع طريف أركان حياته الجديدة ، فوقف قسما من وقته ونشاطه على مطاردة اللهو والمسرات ، متنزها مع بعض أصحابه وأحبابه فى الحدائق العامة والغابات ، ومتنقلا بين مسارح التمثيل ومحافل الوسيقى ، وما إلى ذلك من أماكن التسلية .

إن هذه الأشياء وإن سرته واستهوت فؤاده فانها لم تلهه عن دروسه ، ولم تملأ فراغ نفسه ، ذلك أن طريفاً جدى الطبع ، مجاهداً أكثر مما هو عابث لاه .

وقد استطاع بجده هذا ونشاطه المنتظم المعقول أن يبلغ الغاية التى من أجلها أم باريس ، وأن ينقلب بعد ذلك إلى أهله وبلاده فرحاً جذلان ، تغمره البهجة ، وتبدو عليه مظاهر الثقة بالنفس والاعتماد عليها ، كما أنه تخلص أخيرا من قارئته الزنجية ، تلك القارئة الظالمة التى لازمته أزمنة الامتحانات كلها ، وأبت أن تسقيه العلم إلا كل جرعة بغصة ، قائلة له بلسان نفسها الناقمة عليه ، وعلى الجنس الخشن كافة :

تريدين إدراك المعالى رخيصة
ولا بد دون الشهد من إبر النحل

(بيروت) الدكتور عارف العارف

ثم نشكو ظمأ الروح معى ؟!
وأنا أسقيك من عينى عُقارا !!
أين أيامك فى عهد الصبـــــا ؟
إذ خلعنـــــا فى لياليها العِذارا
وقضينـــــاها ولا ندرى بها
بين أحـــلام كأنفاس العذارى

(كوم النور) أحمد أحمد العجمى

نـــــداء . . .

ونادتنى الطبيعة وهى نشـــوى
بفيض من معانيها الفصاح !
فقمتُ أهيم فى الأجـــواء وحدى
أريق كآبتى فوق البطــــاح
وكان النهر يضحك من شجونى
وكان العشب يهزأ من جراحى
وكان النبت منتشياً قريرا وكان الطير يرقص فى مراح
وكان — ولست أحصد — كلُّ شىء
يُرنم فى حبـــــور وانشراح
فما لى لا أسير بلا قيود وأبسم فى غدوى أو رواحى ؟
وأنسى الهم إن الهم ثِقْلٌ يهدد فى المساء وفى الصباح
وأمرح مثل عصفور سعيد وألتمس المنى فى كل ساح ؟
فما الدنيا سوى جذل وأنس ولذات جُنين من الكفاح
وليس يدوم للانسان شىء سوى البسمات واللهو المباح
وللبسمات ســـــحرٌ أىُّ سحرٍ
ووحىٌ مشرقٌ فى القلب ضاحى

مصطفى عبد اللطيف

ليل بهيم وقلب معذب

دَجا الليـــل ، ولاح النجمُ فى مسبحه يسرى
وراحَ الناسُ فى الغفوةِ ، والدهرُ بهم يجرى
ونامَ الكونُ فى حضن الدجى منقبضَ الصدر
كذاك الليـــلُ قد نامَ على راحتى الدهر !

***

غفا الناسُ ، غفا الليلُ ، غفا الكونُ بما فيهِ
ولم يبق ســـوى قلب ، نأتْ عنه أمانيه
غـــدا يخفق للآمال ، والآلام تُرديه !
يُميتُ اليأسُ منه الخفقَ والآمال تُحييه !!

***

تراءى لىَ فى جوفِ الدجى أطيافُ أحلامى
فرقَّت حولها روحى ، وخفَّ فؤادى الدامى . . .
ولما أن هفا قلبى لها من وجــــده النامى ؛
تلاشت فى حشا الليـــــل ، وخلَّتنى لآلامى

***

إلى كم أنت ، ياقلبُ ، تُعانى ثورة الوجدِ ؟
فتُلقى للســـقام الجسم ، والعينين للسهد !
وترمى العقلَ الأوهام ، والأوهام لا تُجدى . . .
أما يكفيكَ ما عانيت فى دهركَ من نكدِ ؟

***

ويا ربةَ أحـــــلامى حتى مَ أناديكِ ؟
وحتى مَ بأنغامى فى الليـــــل أناجيك ؟
لقد حوَّلتِ الأيامُ قيثـــــارى لواديكِ
خذينى نحو قيثـــــارى وضميتى لناديكِ

(الكاظمية — بغداد) على جليل الوردى

أنباء وآراء:

مهرجان أدبي

جاءنا من لجنة الاحتفالات العامة أنه لمناسبة عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك السعيد في ١١ فبراير سنة ١٩٤١ تعقد لجنة المهرجان الملكي الأدبية عشيئة الله مباراة عكاظية يلقي فيها الكتاب والأدباء والشعراء والزجالون بخطبهم وقصائدهم وأزجالهم وأناشيدهم، كل بما يجود به يراعته وما تفيض به نفسه من إخلاص للمليك المفدى وولاء وحب لصاحب العرش المكين.

وإن ميدان البيان البليغ لمتسع. شباب رائع فتي وعقل ألمعي وقلب تقي وخلق عظيم ودين مكين. قد ضرب أروع الأمثال في رعاية الفقير والترفيه عنه واحتضانه والأخذ بيده. لنا من سيرته الحميدة ومآثره المشهودة، خير حافز على تسجيل نفثات اليراع في كتاب يرفع إلى مقام المليك وينشر على الملأ بعد أن يذاع منه بمحطة دار الأوبرا الملكية ما هو جدير بالتفضيل.

وستضع اللجنة جوائز مختلفة لمن يحوز قصب السبق في المباراة.

الى الثقافة

..... يسرني أن تستقبل الثقافة عامها الرابع بنفس القوة التي استقبلت بها أعوامها السوالف. وكان جميلا أن تملئوا عن صادق الرغبة في إجابة مطالب القراء والاتصال بهم اتصالا روحيا؛ الشيء الذي دفعني إلى إبداء ما أشعر به من الأسف إزاء السياسة التي يسير عليها معظم مجلاتنا في مصر، فلا تنشر إلا لمن لاقت أسماؤهم شهرة عريضة أو لمن وهبهم الله من «الكروت» ما يضيق بالرتب والألقاب. ومعاذ الله أن أتهم الثقافة بعبادة الألقاب دون تقدير للكفايات. ولكن الشيء الذي آخذه عليها أنها لم تفتح للشباب الناشيء مجال الاشتراك في تحرير المجلة والمساهمة في تقديم الموضوعات. إن كل من كتبوا في الثقافة منذ نشأتها يمكن عدهم على الأصابع وكثر تردد أسمائهم في آذاننا.

ولما كان الغرض من مجلتكم تثقيف الشعب، وكانت الثقافة لا تكتمل عن طريق القراءة فحسب، بل عن طريق تطهير الأفكار وتسجيل الآراء أيضاً، كان من واجب الثقافة أن تدعو الصالح من القراء إلى دخول الميدان، وإلا تعرضت قوى النشء الفكرية أمام عواصف الزمن، فتأخذ سبيلها قدماً في عالم النسيان.

عبد المنعم عبد العزيز المليجي

(الثقافة) إنها تشجع الشباب على نشر ما يكتبون، ولكنها لا تفرق بين شيخ وشاب إلا بجودة الانتاج. فليت الشباب الذين يتحمسون لنشر ما يكتبون يتحمسون كذلك في إجادة ما ينتجون.

أحاديث عن القصة

لفت نظري في صحف الأقطار الشقيقة، التي طالعتنا بها البريد في الأسابيع الماضية حديثان عن القصة، أحببت أن أوجزهما لكتاب القصة وقرائها في مصر: أحدهما نشرته مجلة «المكشوف» لصديقنا الدكتور بشر فارس، والثاني بقلم مديحة البرازي، وقد نشرته صحيفة «الصباح» التي تصدر في دمشق.

أما الدكتور بشر فارس فقد أبدى رأيه في القصة والطريق التي يجب أن تسلكها بقوله: «القصة عندي حنية تنتزع من صور الحياة، لا «قطعة من الحياة»، كما يرى القصصيون غالباً. يجب أن تكون كبرق يلتوي في سماء مقبرة. السماء المقبرة هي الحياة الجياشة، وهي طلسم من حيث دقائقها، ومن حيث أسرارها. فالقصاص هو الذي يستطيع أن يطلع في لفتة على سر من هذه الأسرار أو دقيقة من هذه الدقائق فيدونها».

ويعرج بعد ذلك على صياغة القصة فيقول: إن القصة

لا تحتاج إلى حبكة ، بل يجب أن تكون كالرسم الحديث : جسات فى لوح الحياة الجارية ... الخ .

ولعل القراء يرون ذلك التحديد للقصة فى رأى الدكتور بشر فارس ؛ فهو قد أخرج القصص الواقعى كله ، أو كما عبر هو بقوله « القصاصون غالباً » وقصر القصة على أن تكون أسداء « للواقع » أو « التخيل » ، أما أن تكون صورة ، ومجرد صورة فلا .

وينحى الدكتور بشر بعد ذلك على الاسراف فى التحليل المنطق والعلمى وينحى كُتّاب القصة عنه . وهو بذلك يثور على التوجيه الذى أخذناه من الكتاب الغربيين فى فن القصة . ويتفق بذلك مع الاتجاه الحديث فى الأدب الغربى نفسه ، ذلك الاتجاه الذى عرضنا له فى عدد سابق حين عرضنا رأى سير هيو والبول فى القصص الحديث .

أما الحديث الثانى فانه ينحو نحواً آخر ، إذ يرسم الطريق لكتابة القصة ، ويسرف فى هذا الرسم ، فيجعل القصة مقصورة على المواقف أو العواطف التى تمر بالنفس الانسانية ، والقصة ليست إذاً إلا تصويراً لمآسى ، فقد أحصى هذا الحديث أكثر من عشر حالات إنسانية على أنها مواضيع القصص المثالية فى الحياة . على أن أطرف ما فى هذا الحديث ذلك الرأى الذى أنقله : « يحسن بالكاتب القصصى أن يمهد لفكرته . ذلك بأن يهيئ لها أفقاً مناسبا تبرز فيه الفكرة واضحة جلية ، بحيث يستطيع القارئ العادى أن يدركها لأول وهلة .... »

ونحن نترك لكتاب القصة وقرائها أن يدلوا برأيهم فى القصة « كبرق يلتوى فى سماء مغبرة » عند بشر فارس ، وفكرتها واضحة جلية لا تحتاج إلى إعمال فكر عند مدبحة البرازى ؟؟

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين ، مصر